الباب الثاني

بعض رسائل سيدي محمد البوزيدي

الرسالة الأولى

من عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني إلى أخيه في الله سيدي محمد بن العربي أخريف الحسني :

سلام عليكم والرحمة والبركة، وبعد فقد وصلني كتابك وفهمت مقصودك، اسمع إن شاء الله نفيدك اعلم أن استقامة الباطن متوقفة على استقامة الظاهر، أو نقول استقامة القلب متوقفة على استقامة الجوارح، أو نقول استقامة الحقيقة متوقفة على استقامة الشريعة، إذ بقدر الشريعة في الظاهر تشرق أنوار الحقيقة في الباطن، والشريعة واسعة منها ما هو لعامة الناس ومنها ما هو لخاصتهم، فالذي لعامتهم معلوم كالصلاة والزكاة والحج والجهاد الظاهر، والذي لخاصتهم هذا وغيره كالتحقق بوصف العبودية ظاهرا كالفقر والذل وقس على هذا وكالتخلق بوصف الربوبية ظاهرا كالحلم والكرم وقس على هذا، فالتحقق والتخلق في البداية عَبَّروا عنها بالطريقة لأجل ما فيها من المشقة على النفس الأمارة، وفي النهاية عبروا عنها بالحقيقة لأجل ما فيها من الخفة والراحة والهناء والسرور على النفس المطمئنة وهذا حالها مع ربها في سابق الأزل ولما نزلت إلى هذا العالم الظلماني أطفا نورها وحطّ قدرها وصَيَّرها خديمة بعد أن كان هو خادما لها وصَيَّرها أيضا فقيرة بعد أن كان هو فقيرا إليها وذليلة بعد أن كان هو ذليلها إلى ما لا نهاية له، وإن أردت رجوعها إلى أصلها بكمال أدبها رغما عليها لتكون أهلا لمطالعة الأنوار وحمل أثقال الأسرار، إذ الحقيقة متوقفة على الطريقة، والطريقة متوقفة على الشريعة، وإلا فلا، لأن الشريعة باب، والطريقة مفتاح، والحقيقة دار، والبيوت التي لا تؤتى من أبوابها فلا مطمع لأحد في سكناها ولا في دخولها فافهم قال جل علاه ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ يعني وأتوا الحقيقة والطريقة من باب الشريعة، ولا فرق بين الشريعة

والطريقة إلا أن الشريعة للضعفاء من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والجمع بينهما وهم الوارثون لحاله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال والأحوال وقليل ما هم، ولا يحصل الحال الذي هو المراد إلا بعد موت النفس والغيبة بالكلية عن عالم الحس، فأعط للشريعة حقها، وأعط للطريقة حقها، ومن زعم الاطلاع على أسرار الحقيقة من غير سلوك الطريقة ولا تمسك بأذيال الشريعة فهو المفتري على الله إلا من اجتباه الله واقتطعه عن حسه وغيَّبَهُ عن شهود نفسه ومن كان حاله هذا لا يخفى سواء كان سالكا أو مجذوبا وقد تكون هذه الحالة بواسطة وبغير واسطة تدبره، واعلم يا أخي أن الحقيقة نور عظيم وسر كبير لا تحملها إلا القلوب الصافية من الأغيار والأرواح الطاهرة من أوصاف الأشرار، وإلا فمدعيها من غير هذه الحالة جاهل بها ولو كان علمه كالسحاب وعمله كالمطر، إذ هي ترى بالقلوب والأرواح لا بالنفوس والأشباح، إذ هي شيء ترى بالعقول لا بالعقل المعقول ولا بالعلم المنقول وإنما ترى بالعلوم اللدنية والأسرار الغيبية بعد تطهير القلوب من الأغيار وتزكية النفوس من أوصاف الأشرار كما ذكرنا، ولا شك أن المجاهد لنفسه المتحقق بوصفه تمده بشيء من أنوارها من وراء حجاب فيظن الكثير من السائرين أنهم واصلون فيحلون عقدة الجهاد ويسيرون على طريق الرخص والتأويلات، وأما الواصل فلا يحل عقدة المجاهدة ولو بلغ ما بلغ اتهاما لنفسه وصدقه مع ربه، وكيف ينبغي للكامل أن يحل عقدة الجهاد والله سبحانه يقول ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ ، فجاهد نفسك في ربك، وغب عن شهود نفسك ووجود حيلتك حتى تكون في هذا الوجود كأنك لست بموجود، وعلامة فنائك استواءُ أحوالك وسكونها عند أهوالك، فإذا كنت كذلك يا أخي قربتك إليها وكشفت لك عن وجهها وغيبتك في شهود عظمتها فتردك إليها بها لا بك فتقوم بكمال الأدب بين يديها متعلقا بأوصاف عبوديتك متحققا بأوصافها متخلقا من غير تعب ولا مشقة، فهذه حقيقة العارف بها، وأما العاجز عن التحقق الجاهل للتخلق فهو المدعي، واعلم يا أخي أن أهل الدليل حظهم المراقبة ولذلك قاموا بغاية الخدمة خوفا ورجاء لفقدهم الدلالة، وأهل العيان حظهم المشاهدة فغايتهم في العبادة الظاهرة القيامُ بما لا بد منه لكنهم انصرفت قوتهم في العبادة الباطنة كالعلم بالله والمعرفة به مراعيا للأدب معه في كل ما يتجلى، وأي عبادة يا أخي تلحق المعرفة بالله، إذ العبادة الظاهرة قدر ما عظمت وسيلة إلى عبادة الباطن وهي المعرفة بالله فافهم، وقَل من تجده من الكُمَّال لا غيرهم أقوياء في الظاهر أقوياء في الباطن إذ المشاهدة تهدم قوة

الظاهر لامحالة ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ صدق الله العظيم، والمراد بالقرءان أن معناه المعرفة بالله أعني الشهود والعيان، ولذلك ترى أهل المعرفة بالله لم يجدوا القوة الظاهرة إلا ما يقيمون به الفرائض والمسنون، وكل من كان ظاهرا قويا في الخدمة فباطنه ضعيف في النظرة، ومن زعم خلاف هذا فهو جاهل بها، وقد قال شيخنا رضي الله عنه النظرة والخدمة لا تجتمعان قط إلا في رجل على قدم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا معنى كلامه رضي الله عنه، وأما من عجز عن المفروض والمسنون إن كان مجذوبا غائبا عن نفسه مقتطعا عن دائرة حسه فهو معذور عند أهل الظاهر سيما أهل الباطن، وإن كان غير ذلك فهو السلكوط[1] الكبير عند أهل الظاهر والباطن، إذ الطريقة لا تنال إلا بارتباط الشريعة كما أن الحقيقة لا تنال إلا بارتباط الطريقة هذا الذي عندنا وسمعناه من شيخنا ورأيناه فيه وأخذناه عنه، فالشريعة تنور القلب وتحيي الجوارح، والطريقة تقتل النفوس وتحيي الأرواح الميتة بسموم العوائد والشهوات، فإذا تنورت القلوب وحييت الجوارح وماتت النفوس وحييت الأرواح واشتاقت لعالمها القديم فينزل عليها براق الشوق والمحبة بعد أن يناديها منادي العلوم اللدنية فيختطفها من حضرة النفوس ويدخل بها حضرة القدوس، فإن أردتم ذلك يا إخواني فيقوا نفوسكم[2] وزيدوا فلوسكم[3] لربكم ولا تترددوا، فإن التردد من سماع حديث النفس الأمارة، والمستمع لحديثها لا تفتح له أبواب الملكوت ما دام كذلك،وإن أردتم أن تزكوا أعمالكم وتستنير قلوبكم وتطيب أرواحكم فلا تستمعوا لحديث نفوسكم، فاعقدوا ولا تحلوا، فإن الفقير إذا ربط ربطة صحيحة ونوى نية كبيرة فإنه لا يرجع إلى شهواته وعوائده انقطع عنه حديث النفس في الحين وتبدل بخطاب الروح الروحانية لا يمل من سماعه أحد قط، وأما قولك يا أخي: المرقعة والتسبيح[4] والعكاز وغير ذلك فهي نسبة عظيمة وشهرة تالله كبيرة، فاحمد الله على اشتهارك واشتهار غيرك بأولياء الله ولو جعلك مشتهرا بأولياء الشيطان ماذا تفعل، فاشكر الله على هذه

---

(1) السلكوط: أي السّفيه.

(2) أي استيقظوا من غفلاتكم.

(3) أي أنفقوا أموالكم في سبيل الله.

(4) التسبيح: أي السُّبْحَة، وهي خرزات منظومة في سلكٍ تستعمل لذكْر الله.

النعمة ليزيدك غيرها وليظهر عليك سرها، إذ الحق سبحانه إنه قادر أن يستر عورات الكاذبين مثلي من أهل نسبته ويحليهم بحلية أهل الصدق ظاهرا وباطنا كرامة لنسبته لا لهم، وهذا تجريب صحيح سيما من كان صادقا في بعض الأمور، واعلم أن كل من تجرد بنية حسنة فهو بخير عظيم ما دام مجردا أو محسوب ما دام رابطا، إذ لولا الصدق مع الله والشوق إلى كرم الله ما تجردوا، وهذا ما شهدنا في كل من تجرد والأمر الغائب لا يعلمه إلا الله أمِرْتُ أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، واسمع يا أخي نفيدك فائدة أخرى إن شاء الله اعلم أن أهل التجريد بخير عظيم ما داموا متجردين كما ذكرنا وإن كانوا ضعفاء عن الجهاد فهو في حصن الشيخ والكُمَّال من الإخوان وهمتهم تحفظهم وترعاهم دنيا وأخرى، فاصحبهم وادن منهم واحفظ سرهم وسلمْ لهم واخدمهم بنفسك ومالك، واحذر نفسك ولا عليك والأمر ظاهر، من نصح نصح نفسه، ومن غش غش نفسه، والسلام على خير الأنام.

الرسالة الثانية

اعلموا رحمكم الله يا إخواني ويا أحبتي أن كل من أحب شيئا أكثر من ذكره، وكل أحد له محبوب يحبه، وكل أحد عبد لمحبوبه، والله تعالى يجعل محبوبنا هو هو سبحانه ولا يجعل محبوبنا ما تهوى نفوسنا، إذ الخلق كلهم لهم محبة في قلوبهم قديمة فإن سبقت لأحدهم العناية يعني السعادة قام بتلك المحبة لمحبة مولاه إلهاما منه سبحانه وتكرما وجودا وفضلا، والذي سبقت له السابقة بالخذلان يعني الشقاوة قام بتلك المحبة لمحبة هواه، والهوى كل ما تشتهي النفوس دون الله سبحانه أو تعودت به فمالكها وساربها إلى غير حضرة الله أو نقول خدمة الله، وهذا حال الناس جملة لا ترى إلا عبدا لمولاه أو عبدا لهواه لا غير. إخواني كونوا عبيدا لمولاكم ولا تكونوا عبيدا لهواكم ولا بد ولا بد، وإني أرى أكثركم عبدا لهواه، ولولا أن الله تعالى أمر بالستر لقلت لكم فلان وفلان وفلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون، إخواني افتقدوا أحوالكم كنتم أوقاتكم معمورة بالذكر والمذاكرة والفكر، واليوم خلاف ذلك انعكس أمركم وأنتم لا تشعرون، وإن شعر أحدكم فلا سبيل له للخروج من يد هواه إلا القليل. إخواني الزموا حلقة الذكر صباحا ومساء وسافروا إليها لعند أهلها إن علمتم أين هي أي حلقة الذكر لا سيما إن كانت

بالقرب منكم وكنتم جماعة، وأقل الجماعة اثنان وواحد، وإن كنتم على محبتنا في الله فـــلا نـــسمح من ثلاثة إخوان إذا اجتمعوا ولم يعقدوا حلقة الذكر أحرى أكثر من ذلـــك، الزموها بارك الله فيكم ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد حـــيث كنـــتم وحيث مررتم وكيف ما كنتم، لأنها أي الحلقة تشهد لأهلها لكمال الطريق والوصول إلى التحقيق والسلام.

الرسالة الثالثة

كثـــر الله عـــددكم، وقوى مددكم، ومن كل وصف مذموم أنقذكم، والسلام علـــيكم والرحمة والبركة والعافية، وبعد فالضعف الذي حصل على باطنكم هو من ظواهـــركم، لأنـــه الوقت الذي حصل لكم الإقبال على الله حصل لكم الإدبار عن الدنـــيا وأهلـــها وظهر عليكم سر إقبالكم على مولاكم مثل التوكل والحلم والرضا والتـــسليم والتواضع والخشوع والسخاء وغير ذلك من الأخلاق الكريمة، والوقت الـــذي حصل لكم الإعراض عن الله والعياذ بالله ظهر عليكم شر إقبالكم على الدنيا وذلـــك مثل الغضب والحسد والكبر والبخل والشح والاهتمام بالرزق والخوف من الخلـــق وغـــير ذلك مما لا حصر له، والله إن لم تنتبهوا لحالكم وترجعوا سريعا إلى ربكـــم وتعرضـــوا عن هواكم وتلاقوا أورادكم التي كنتم عليها مثل الصلاة والذكر والتلاوة والعزلة والصمت والجوع والسهر والمواصلة وغير ذلك مما كان حالكم مع الله تعالى حتى تفتشوا على هذه السنة التي في أيديكم ولا تجدوا لها خبرا قط ويخلق الله من يتولى حالكم وأنتم تنظرون، فهذه الطريق لا تحسبوا أنه مزهود فيها لا والله، أهلها يأتي بهم الله من الغيب كما هي غيب، والسلام.

الرسالة الرابعة

لا كرامة أعظم من الاستقامة ظاهرا وباطنا، لأن الكرامات الحسية يكونون عند استقامة الظاهر دون استقامة الباطن، وأما بعد استقامة الظاهر والباطن لا يكون إلا الكرامات المعنوية، والحسية قلَّ أن توجد لغيبتهم في الله عمن سواه، وأي كرامة قدر استقامة الظاهر والباطن، فعليكم بالذي خلقنا إليه وأمرنا به إذ هي المطلوب منا ومن غيرنا، وكل من ظن أن الولاية شيء زائد على الاستقامة فهو جاهل بالولاية،

ولا نسمع لكلام العوام الذين يقولون إن الكرامات كانت للأولياء، كذلك كانوا في زمانهم رضي الله عنهم كانوا يقولون لهم أين الكرامات، وهذه سنة الله في أوليائه أن يتسلط عليهم من يكذبهم وهم صِدِّيقُون لمحبته فيهم وقد قال جل من قائل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ وقال ﴿ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ، واعلموا رحمكم الله أن الظواهر إذا كانت ممتثلة لأمره مجتنبة لنهيه متحققة بأوصاف العبودية ظاهرا متخلقة بأوصاف الحرية باطنا كانت البواطن لا محالة مستغرقة في شهود عظمة الألوهية، ولا منع البواطن من هذا إلا عدم هذا، ولو كان هذا لكان هذا، إذ العبودية ذات، والحرية صفات، والذات لا تفارقها الصفات، وإخواننا لهم الحرية الكبيرة من حيث لهم العبودية الكبيرة: ظواهرهم ممتثلة لأمره مجتنبة لنهيه متحققة بأوصاف العبودية التي هي الذل والفقر والضعف وغير ذلك وهذا هو الفنا متخلقة أيضا بأوصاف الحرية التي هي الحلم والكرم والعلم والرأفة والحنانة والمحبة والصدق والتعظيم وسلامة الصدور والتواضع والرضا والإيثار والتوكل والاكتفاء بعلمه سبحانه وحسن الخلق وحسن الظن وغير ذلك وهذا هو الفناء، فصار إخواننا لهم الباطن الكبير من حيث لهم الظاهر الكبير شعروا أم لا، من لم يكن عنده الكثير كان عنده القليل، وإخواننا في الزيادة لم يبق لهم شيء إلا الثبات في حالهم والثبات معنا، إذ بالثبات مع بعضنا بعضا تثبت لنا المعرفة الكاملة بعد أن تكون ناقصة (تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين) الحديث، فاثبتوا في إخلاص العبودية لله، ولا تلتفوا إلى سواها فإنه فقر لقلوبكم وغناء لنفوسكم، ويحصل لكم بسبب التفاتكم إلى الكرامات احتقار للاستقامة التي في أيديكم سيما إذا كان اعتقاد البعض أن الولاية شيء زائد على الاستقامة فلا يظهر له سرها وإن كان فيها بسبب نظره إلى سواه، إذ لا يظهر لأحد سر الشيء إلا إذا أعطاه كليته كائنا ما كان، فأعطوا كليتكم لربكم ولا تتركوا منها بقية لغيره فإنه أقل شيء يقطعكم عن الله سواء كان حظًّا دنيويا أو أخرويا، لأن طريق أهل التحقيق لا حظ لهم سوى مولاهم وأي حظ أعظم منه، فاللهم اجعل

حظنا منه سبحانه وإخواننا النظر في وجهه في الدنيا وفي الأخرى، ولذا قالوا الصوفي لا يرى أحدا في الدارين غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله الخ، واعلموا رحمكم الله أنه لا حاجة للفقير في طلب الكرامة إذ ليست هي المقصود وليست هي المطلوب، إنما المطلوب العبادة والإخلاص فيها لله، إذ هي شيء زائد على ما أمر الله به ونهى عنه، من طلبها مع الأعمال فعبادته معلولة مدخولة بحظ نفسه، ومن طلبها من غير الأعمال فهو جاهل، واعلم أن الكرامة تبرز من الولي الكامل وغير الكامل إذا أراد الله أن يظهرها وإلا فلا لأنها ليست في يد الولي ولا له عليها حكم، ربما أراد ظهورها ولم يجد منها شيئا، وربما لم يردها فتظهر، فهي أحوال تَرِد على العبد بغتة، ولا يزيد ولا ينقص بها إلا ضعيف اليقين، وأما أهل اليقين الكبير والصدق الكامل فوجودها وعدمها على حد سواء فإنهم لا يفرحون إلا بالعبودية الخالصة لله عز وجل ولا يحزنون إلا على فقدانها إذ فقدت وهذا شأن أهل الله جماعة رضي الله عنهم، فهكذا نحب إخواني بارك الله فيهم، وإلا فلا، والسلام.

الرسالة الخامسة

أخونا في الله وصاحبنا من أجله العالم الناصح الخير الطالب المبارك الواضح أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج المزوني، السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية، وبعد فقد بلغنا كتابكم وفهمنا مرادكم، وذلك أن الغيرة على الدين المحمدي أحرقت كبدكم كما أحرقت كبد غيركم من قبل هذا الوقت، وقَلَّ من حصلت له هذه الحالة الشريفة التي هي الغيرة على الدين، فلا ترى في وقتنا هذا إلا الغيرة على الدنيا وشهواتها وعوائدها وسائر حظوظها، واتفق الناس على خدمتها ومحبتها وتعظيمها وعزتها وشرفها وجعلوها مذهبا صحيحا لا يمكن لأحدهم أن يتحول عن تلك الحالة الحسية من شدة تمكنها في القلوب واستيلائها عليها صارت يقينهم وروحهم وراحتهم وسرورهم، وإذا فقدها أحد من فقرائنا وعلمائنا وصلحائنا لا غيرهم تزلزل واضطرب وانقبض وانكمش وضاق وغضب ودبر واحتار وقنط واهتم وكاد أن يخرج عقله، ولا يسكن حاله ولا يطيب وقته إلا إذا وجدها، ومن كان هذا حاله فكيف يكون من أهل الفقر والعلم والصلاح، معاذ الله أن تكون تلك الحالة

الخسيسة حالة الفقراء والعلماء والصالحين إنما هي حالة الراغبين الجاهلين الظالمين، ومن قال من أهل وقتنا أنه على غير ما ذكرنا فليخرجها من يده ويفارق أهلها ويدوم على ذلك ما شاء الله وينظر نفسه إن كانت من أهل الفقر والعلم والصلاح حقيقة لا يزيده تركها إلا عزًّا وشرفا ويقينا وفرحا وسرورا وبسطا وقربا ووصولا وعلما وفهما ونورا وسرا وغير ذلك من نتائج الصدق، وإن كان خلاف ذلك لا يزداد إلا حزنا وضيقا وهـــمًّا وغمًّا واغتماما وتدبيرا واختيارا وغفلة وجهلا ولا تزال نفسه توسوسه وتضيق عليه وهو يسمع كلامها وحديثها حتى تنسيه مولاه بالكلية والعياذ بالله وهذا حال جملة فقرائنا وعلمائنا وصلحائنا وهؤلاء هم الأموات حقا لا أموات القبور، وقد زعموا بنظرهم القصير أن الدنيا لا تفسد الدين، وهي والله ما دخلت عليه إلا أفسدته وغيَّرته وخربته وصيرته على دينها أحبوا أم كرهوا، إذ لو كان الدين باقيا على أصله لوجدوا الناس سر علمهم وعملهم وفقرهم وحجهم وجهادهم وغير ذلك كما كانوا يجدونه السلف الصالح رضي الله عنهم وذلك مثل العلم والفهم والحلم والرضا والتسليم وسائر أسرار القلوب التي لا حد لها ولا حصر، ولما كانت القلوب مريضة بحب الدنيا مدنسة مغيرة مظلمة صارت أعمال الجوارح لا تؤثر فيها قليلا ولا كثيرا، وتأمل في هذا تجده صحيحا والله أعلم، وقد فسد والله ظاهر الوجود بسبب هذا الآدمي لا محالة، وسبب فساد ظاهره فساد باطنه، وسبب فساد باطنه حب الدنيا لا غير، فلو حصل التطهير للقلوب من حبها لحصل ذلك للجوارح، ولو حصل ذلك للجوارح لحصل ذلك لظاهر الوجود، والله على ما نقول وكيل، ولما ضعف نور العقل وصارت العلماء والفقراء على رخص النقل انحجبت الأسرار وغابت الأنوار وتاهت الأفكار في عالم الأغيار واتفقت الناس على الدنيا خاصة وعامة بجوارحهم وقلوبهم، وصار العلم حده اللسان، والعمل حده الجوارح، والفقر حده البدن، والقلب الذي هو محل السر والنور مزبلة الدنيا، والعجب كل العجب ينسبون ما هم عليه من جميع الدنيا وشهواتها وعوائدها للصحابة رضي الله عنهم والتابعين ولأئمة الدين الذين تقدموا فيقولون كانت عندهم الدنيا وما ظنوا أنها كانت في أيديهم لا في قلوبهم وكان ذلك بعد إخلاصهم من طبع بشريتهم لا قبل، فكيف بنا نحن لا نعرف الإخلاص ما هو ولا نشم رائحته ونزعم أنها لا تضرنا ولا

تهلكنا ولا تخلي دار أبونا هذا والله لا يظنه مع وجود العلم إلا الجاهل الكبير، لا تسمع من يقول ذلك واسمع قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [فاطر: 5-6] يعني بسببها دخل الشيطان على نفس ابن آدم فزيَّن لها ظاهر الكائنات وألهاها عن باطن آيات الأرض والسماوات، ولولا هذا السبب الذي دخل به هذا العدو على النفوس لكانت باقية في حضرة القدوس مع نزولها إلى هذا العالم المحسوس. الدنيا يا أخي غاية الظلمة، والآخرة غاية النور، أو نقول الجهل غاية الظلمة، والعلم غاية النور، وفقراؤنا وعلماؤنا وصلحاؤنا جمعوا بين الدنيا والآخرة غاية الجمع أو نقول بين العلم والجهل وألفوا بينهما غاية التأليف وهذا لا يمكن قط إذ هم أضداد لبعضهم بعضا ولا يجمع بين الضدين إلا من له قدم كبير في الولاية العظمى وهذا صنف من أعراف الأولياء رضي الله عنهم، وأما الجمع الذي بين هذا وهذا فقراؤنا وعلماؤنا وصلحاؤنا إنما جهل وطمس وبعد وطرد، وقد قلنا قبل هذا فليترك الدنيا من يده ولينظر نفسه وهذا ميزان صحيح على غنائها بالدنيا، وقد يظهر لي والله أعلم أنهم إذا تركوها يوما واحدا ماتوا حسرة على فراقها، كيف يصلح حال العامة إذا كان هذا حال الخاصة، إنا لله وإنا إليه راجعون، واحمد الله واشكره على ما بقي من الدين قبل أن يغيب بالكلية، أما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم (بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا)، واحمد الله أيضا واشكره على ما بقي بلاد المشرق والمغرب لم يستول عليها بنو الأصفر وغيرهم من أجناس الكفرة دمرهم الله، لكن أبشر أيها الفقيه الجليل واعلم أن ليل الجهل قد انتهى سواده ونهارَ العلم تبسم فجره ولاح ضياؤه، فقريبا إن شاء الله تعظم الولاية وتظهر العناية وتنتشر الهداية والله غالب على أمره، لكن اسمع وفقنا الله وإياك ومن أمراض الشرك الخفي طهَّرك أن مراده سبحانه هو ما تراه وهو في غاية الحسن والإتقان وإن كان كما كان صنع الله الذي أتقن كل شيء لا مدخل لأهل العلم بالله هنا وكل من دخل في بحركم وكيف مع وجود العلم عوقب بالحجاب نسأل الله العافية إذ هي أعظم معاصي القلوب، ولولا وجود الجهل بالله لهلكت العامة من كثرة تردد تلك المقالة على ألسنتهم، فصاحبها منازع للربوبية معترض على أحكام الألوهية، فاحذر أن تعترض عليه بقلبك، ولا بأس بما قلت

أيضا لجريان ذلك على الألسن فيما وافق الشرع وإن كان القلب سالما من الاعتراض على الحق سبحانه وهذا حال أهل التحقيق شرفنا الله بذكرهم، ولا بأس أيضا أن يحير ذلك ألسن عامة الناس إن وافق الشرع أو إن كان القلب غير سالم لأنهم لا علم لهم بالاعتراض على الله تعالى إنما يظنون اعتراضهم على الخلق، ولولا هذا الظن لهلكوا، والغالب أن هذه المقالة لا تنطق بها الألسن إلا إذا تجلت على القلوب ظلمة الشرك الخفي لا محالة، وما سلم أحد منهم إلا من تحقق بوصفه واستغرق في حضرة قدسه وإلا فلا بد منها بالقلب والجوارح إما عن جهل كحالة العامة وإما عن غفلة وسهو كحال الخاصة نفعنا الله بذكرهم، وإن شئت أن يتطهر باطنك من الشرك الخفي فاشغل نفسك بذكر مولاك آناء الليل وأطراف النهار، والذكر واسع منه التلاوة والتدريس وغير ذلك، وامزج ذكرك بالصلاة والسلام على النبي المختار، واقنع من الدنيا بالقليل وفر من أهلها كفرارك من الأسد الجائر، فإن صحبتهم والنظر إليهم والقرب منهم سم قاتل وإن كانوا في صفة الفقهاء وفي صفة العلماء وفي صفة الصالحين، لأن الفقر والعلم والصلاح الذي لا يزهد صاحبه في الدنيا فهو دنيا أحب أم كره، والله ما غابت الأسرار واختفت الأنوار إلا من قلب الحقائق، فلولا قلب الحقائق لأشرقت أنوار القطبانية على أضعف الخلائق، والسلام، وكتب محبكم ومجلكم محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله آمين.

الرسالة السادسة

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده. إلى كافة محبينا وإخواننا فقراء أهل مدشر[1] تفروت وغيرهم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد سادتي كثر الله عددكم، وعظم قدركم، ونور بصيرتكم، وأجرى من قلوب أوليائه مددكم، وحفظ قلوبكم من الأغيار والأكدار وجوارحكم من أعمال الفجار، اعلموا رحمكم الله أن حصن هذه الطريقة وسورها الذي لا ينهدم دعائمه الصمت، وسراجها

(1) مدشر: أصغر من قرية.

العزلة،.....الفكرة، وأزهارها الزهد، وثمارها الورع، فمن تمسك منكم بهذه الأوصاف الحميدة كانت الولاية له الولاية الكبرى التي هي لمولانا عبد السلام بن مشيش وأمثاله رضي الله عنهم نصب عينيه، ومن تركها وطلب الولاية طلب المحال، وكل وصف من هذه الأوصاف ضامنة لوصف آخر: أما الصمت فضامن لرفع الهمة، وأما العزلة فضامنة لصفاء القلب، وأما الفكرة فضامنة لفيضان العلوم اللدنية والمواهب الربانية، وأما الزهد فضامن للعز بالله، وأما الورع فضامن للأدب مع الله ومع رسوله ومع أوليائه. واحذروا رحمكم الله من التحبيط في طريقكم فإنها أصل لكل طريق، ومن فرط فيها لا يَلوم إلا نفسه، واجتمعوا مع بعضكم بعضا، وعظموا بعضكم بعضا، وأكرموا بعضكم بعضا، وإياكم والبخل فإنه فساد لهذا الطريق، وإياكم والملاججة والقلق، فإن الملاججة والقلق يلدان الغضب، والغضب وصف من أوصاف جهنم نسأل الله السلامة والعافية، وإياكم والطمع فيما بأيدي الناس فإنه سم قاتل، لا يفلح قلب فيه طمع قط، وإياكم والميل لحب المدح والثناء، فإن الرجل الصادق لا يحب أن يمدحه أحد فإذا مُدح كأنه وُصف بالذم وإذا ذم كأنه وُصف بالمدح، لأنه من شأن النفس وهواها فلأجل ذلك تحب أن يمدحها الخلق، فمن وجد منكم حب المدح أحب إليه من الذم فليجاهد نفسه عن هواها الطبع الذميم الذي هو طبع العوام، وإياكم أيضا وزيارة النساء والقرب إليهن فإنهن أفسد للمريدين من فساد القطران للعسل، وأكثروا واجتمعوا على ذكر الله ليلا ونهارا ولا تملوا فإن الله لا يمل حتى تملوا: الحديث، وكذلك المذاكرة، وإياكم والكسل فإنه وصف من أوصاف المنافقين وإليهم الإشارة بقوله سبحانه ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية صدق الله العظيم، والسلام.

الرسالة السابعة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله من عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني إلى جملة إخواننا، وبعد فالحاذق اللبيب هو الذي لا يتعدى فكره وقته، ولانظره قدمه، لشدة ما على قلبه من الحضور، وسره من مطالعة الأنوار والسرور، والحاذق أيضا هو اللازم للحرص لوقته، الدائم الغيبة عن نفسه، لا يبالي باسمه، ولا برسمه، شغله مولاه عن سواه، ونسي به حظوظه وهواه، تدكدكت أوهام وجوده، وفنا عن

شهوده في معبوده، يتلاقى مجاري الأقدار بالفرح سرًّا وجهراً، حتى إذا قيل له ماذا أنزل ربك أيها العارف المحقق يخبر عن حاله بلسان مقاله خيرا خيرا، فهذي هي حقيقة الفاني عن نفسه الباقي بربه، الذاكر لربه على الدوام، الناسي لنفسه والسلام، فعليكم بنسيان نفوسكم، إن شئتم أن تكونوا ذاكرين لربكم، إذ لا يذكر الله يا إخواني من ذكر نفسه ولو كان دائما يا إخواني يقول بلسانه الله الله الله، ولا ينساه أبدا إذا نسي نفسه ولو كان لا يقول بلسانه الله الله الله، فالعبد إذا نسي نفسه كان ذاكرا لله بقلبه، وهذا هو الذكر الحقيقي الذي يعنون به الذكر الخفي، وإليه أشار نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (أفضل الذكر الخفي)، فانقطعوا إلى ربكم ولا تنقطعوا إلى نفوسكم لتهلكوا، والانقطاع إلى الله هو نسيان النفس عند انقطاعها إلى الفقير، ولا يكون إلا بالمراقبة العظيمة أو بالمشاهدة، لأن النفس إذا شهدت النور ذابت كما تذوب الشمعة على النار، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا، أي إذا تجلى نور الرب للقلب صار جبل النفس دكًّا وفنيت وذابت وزالت وامتحقت واضمحلت، وهذا لا يكون إلا بعد ذكر القلب، وذكر القلب لا يكون إلا من باب المراقبة العظيمة أو من باب المشاهدة، فالذكر بالمراقبة على ظاهر القلب وبالمشاهدة من باطن القلب، ومن أراد محو النفس ليكون ذاكر الله بصميم القلب فليسكن الذل والفقر، إذ بهما تفنى وتزول، ويبقى من لم يزول وهو الله عز وجل، وعلى هذا الباب الذي هو الذل والفقر سلك أرباب التجريد كلهم إذ هو والله ميزان أهل الهمة العلية الذين لا يرضون بشيء دون الله تعالى، منه ابتدؤوا وإليه انتهوا، بدايتهم العبودية المحضة، ونهايتهم أكثر وأكثر لشدة ما عليه قلوبهم من اليقين وسرهم من الرسوخ والتمكين، فجاهدوا نفوسكم، وغيبوا عنها في وقت مجاهدتكم لها، ولا تروها في العمل ولا قبله ولا بعده، فادخلوا في العمل بالله واخرجوا منه بالله لتكونوا عبيداً لله، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية صدق الله العظيم، وأوصيكم بالأدب وحسن الخلق مع كل مخلوق، إذ الأدب وحسن الخلق يشهد للفقير بكمال معرفة التوحيد، وسوء الأدب وإساءة الخلق يشهد لصاحبه بالجهل بالتوحيد، فالأدب وحسن الخلق عليهما بنيت الطريق،

فعليكم بالتعظيم لكل شيء وحسن الأدب مع كل شيء والتواضع لكل شيء ليظهر لكم سر ما أنتم عليه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، **وأوصيكم:** عليكم بتعظيم بعضكم بعضا ومحبة بعضكم بعضا ومودة بعضكم بعضا وزيارة بعضكم بعضا، إذ لو علم الفقير ما في زيارة إخوانه من الخير والسر والقرب من الله تعالى لما أقام في داره أكثر من ثمانية أيام، ويكفي في شرف الزيارة هذا الحديث العظيم قال جل من قائل لنبيه داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام (يا داوود اجعل عصا ونعلين من حديد وطف بهما في الأرض حتى ينقطعا)، فالفقير إذا جلس في داره فوق ثمانية أيام من غير سبب وذلك السبب لا يمكنه التخلف عنه بوجه من الوجوه فاعلموا أن محبته قد ضعفت وهمته نزلت وأنوار فؤاده تشتت، فبادروا له قبل أن يهلك، وتهلوا في كبرائكم واسمعوا لهم ولا تتعدوا نظرهم، فإن تعديتم نظرهم تعديتم نظرنا، والله يأخذ بيدكم، والسلام.

الرسالة الثامنة

إلى فقراء تلمسان[1] وأهل قلعية[2]، أقلعكم الله عنكم وأغرسكم به، وأفناكم عنكم وأبقاكم به، وأذلكم بكم وأعزكم به، وأفقركم منكم وأغناكم به، وجهلكم بكم وعلمكم به، وبعدكم منكم وقربكم إليه، وضعفكم بكم وقواكم به، وقساكم بكم وذكركم به، وأوحشكم منكم وأنسكم به، وأصمتكم عنكم وكلمكم به، وجوعكم منكم وشبعكم به آمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فهذه أيام قليلة يعني أيام العمر ينبغي للإنسان أن يكون فيها على بصيرة، إذ العمر جعله الحق تعالى سوقا، فأهل العقول اشتغلوا بما ينفعهم وهي العبادة الخالصة له سبحانه فصدقوا، وأهل الحمق اشتغلوا بما يضرهم وهي عبادة نفوسهم يعني اتباعها في هواها فتلفوا، فافهموا ولا تتبعوا نفوسكم في شهواتها وعوائدها، ولا تقنعوا منها بأعمال الظواهر دون أعمال البواطن، فأعمال الظواهر تقدر عليها نفوس العوام وذلك كالصلاة والصوم وغير ذلك، وأعمال البواطن لا تقدر عليها إلا نفوس الخواص وذلك كالذل والفقر والصمت والصبر والرضا والتسليم والتواضع والسخاء والقناعة

(1) تلمسان: مدينة تقع في غرب الجزائر، قريبة من الحدود المغربية.

(2) قلعية:قبيلة من قبائل الريف الشرقي، في شمال المغرب.

من الدنيا والمسكنة والجلوس مع المساكين وفي المواضع التي يجلس فيها المساكين والإيثار عند الحاجة وحمل إذاية الخلق وكف إذايتهم وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي هي لباب السنة، إذ لا يعرف السنة من كان متكبرا ولو كانت عبادته كالسحاب والمطر، وكذلك من كان بخيلا وحريصا وحسودا ومعاندا ومبغضا ومرائيا ومنافقا ومتصنعا للخلق وغير ذلك، إذ السنة هي التطهر من أوصاف البشرية لا غيرها، والناسُ يظنون أن السنة خلاف ذلك لغربة السنة الكبيرة فيهم يظنها هي الصلاة والصوم، وما ظن أن الصلاة والصوم هي مفاتح السنة لا غير، والمراد بالمفتاح دخول الدار وهي التخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم، إذ لا يعرف السنة من البدعة إلا من سار على سيره، فمن تخلق بخلقه الحسن فهو سني، ومن تخلق بخلق نفسه فهو بدعي عند أهل السنة وإن كان كثير الصوم والصلاة فافهموا.انظروا كيف وصفه الله بالخلق الحسن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ ولم يقل له وإنك لعلى صلاة وصيام، إذ الصلاة والصيام تقدر عليها العوام، والأخلاق الحسنة لا يقدر عليها إلا الخواص الذين سلكوا منهاجه القويم فافهموا، إذ كل من سار على سيره وصل إلى حضرته صلى الله عليه وسلم، ومن وصل إلى حضرته وصل إلى حضرة مولاه، ومن وصل إلى حضرة مولاه هنيئا له قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31]. جعلني الله وإياكم والمسلمين من أهل اتباعه آمين، ولا يسمى المتبع به خليفة حتى يتخلق بأخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم، إذ العبادة هي حسن الخلق مع كل مخلوق إذ بها قرب إلى الله تعالى من قرب، وبسوء الخلق بعد عنه من بعد، والسلام.

الرسالة التاسعة

اعلمـــوا أن التجـــريد الظاهر له شرف كبير، لا يقدر عليه إلا من غلبت عليه مـــراقبة الحـــق على مراقبة الخلق، إذ التجريد الحسي ضامن للتجريد المعنوي إذا حصل الثبات فيه إذ هو لائق بالضعيف والقوي وفيه منافع كثيرة، منها أن المتجرد كالرياض بالزَّرْب المانـــع، والمتـــسبب كالـــرياض بلا زرب[1] من جاء يدخله ويقطع أشجاره ويأكل أثماره،

(1) زَرْب: السور من القصب.

والمتجـــرد لا سبيل لهم إليه، ومنها أن المتجرد لا يبالي بنفسه ولا بأبناء جنسه لسقوط قدر نفسه وكذلك الخلق لا يعبئون به فهو منهم في راحة ومن نفسه، ومنها أن المتجرد عـــنده العمارة والخلا كلاهما سواء، أين ما جن عليه الليل ذاك قراره، وبالجملة أسراره لا تعد ولا تحصى، إذ لا يعرفون قدره إلا أهله، إذ التجـــريد عند أهله كالكبريت الأحمـــر عـــند أهلـــه وأعظم وأعظم وأعظم، هذه كمية حسية وهذه كمية معنوية، والحس قدر ما يعظم ينقص من المعنى.

الرسالة العاشرة

من عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله إلى إخواننا في الله فقراء سلا وغيرهم، السلام عليكم والرحمة والبركة، وبعد فواللهِ ما خصّنا[1] العلم ولكن خصنا العمل به، إذ العلم بلا عمل كالأشجار بلا أوراق ولا أزهار فضلا عن الثمار، إذ لا يوجد الثمار إلا بعد الأزهار، كما أن الأزهار لا توجد إلا بعد الأوراق. قلّ من الأشجار من يسبق أنوارُهم أوراقهم لكن بعد الأنوار تأت الأزهار وبعد الأوراق تأتي الأثمار، فمن سبقه الجذب فليعقبه السلوك، ومن سبقه السلوك فليعقبه الجذب، ومن رأيته في السلوك ولم يدركه الجذب فسلوكه غير حقيقي، ومن رأيته في الجذب ولم يدركه السلوك فجذبه غير حقيقي سوى المجذوب الغائب لا كلام عليه، فمن أدركه الجذب قهرا فليمزجه بالسلوك اختيارا، ومن أدركه السلوك اختيارا فليمزجه بالجذب قهرا، ولا يقف مع قهرية السلوك ولا مع قهرية الجذب، إذ كلا الوقوف معهما حجاب، فكثير من أهل السلوك وقفوا مع سلوكهم فحجبوا عن الجذب، وكثير من أهل الجذب وقفوا مع الجذب فحجبوا عن الله، والعارف بالله هو الذي لا وقوف له مع شيء سواه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ فأهل الآخرة قالوا أهل الدنيا هم أهل الخوض، وأهل الله قالوا أهل الآخرة هم أهل الخوض، وكلاهما على الصواب، قد علم كل أناس مشربهم، فأهل الآخرة اشتغلوا بالأنوار، وأهل الله

(1) ما خصنا: أي ما نقصنا.

اشتغلوا بالله فاشتغلت بهم الأنوار فطلبوا الأنوار بعد الأزهار وطلبوا الأزهار بعد الأوراق وطلبوا الأوراق بعد الأشجار، إذ لا توجد الأوراق إلا بعد الأشجار كما أن الأثمار بعد الأزهار، فكيف تطلب الثمار من الأشجار وهي لم يظهر فيها أزهار: ليس هذا والله عقل الكبار إنما هو عقل الصغار، **ولا نحب إخواننا بارك الله فيهم أن يكونوا من الصغار بل نحبهم أن يكونوا من كبار الكبار** فافهموا، فيقوا[1] يا إخواني من نومكم واجتهدوا في كمال معرفة ربكم ولا تتمتعوا بالعلم دون العمل ولا بالعمل دون الحال ولا بالحال دون المحول فافهموا، ومن أراد أن يكون من كبار الكبار فليكن من صغار الصغار، أو نقول من أراد أن يكون من أقوياء الأقوياء فليكن من ضعفاء الضعفاء، أو من أراد أن يكون من عز العز فليكن من ذل الذل، أو من أراد أن يكون من أهل علم العلم فليكن من أهل جهل الجهل، يعني من أراد أن يكون من أهل العلم بالله الذي هو لباب العلم فليكن من أهل العلم بنفسه فإن كان من أهل العلم بنفسه كان من أهل العلم بربه.....، إذ لا علم حقيقي ولا عمل حقيقي لمن يطلب الأشياء من غير أضدادها، فاسكنوا وصفكم إن شئتم أن يتجلى لكم بأنوار أوصافه سبحانه وتعالى، إذ ما منع الناس من ظهور الأسرار وشروق الأنوار سوى عدم إخلاصهم في عبوديتهم لربهم، فإن قلت كيف ذلك قلنا دخلت العلل مع علم العلماء ودخلت العلل أيضا مع فقر الفقراء وذلك كحب الدنيا وحب الجاه والمدح والثناء وحب إقبال الخلق وحب الرياسة والطمع لما في أيدي الناس من حطام الدنيا وغير ذلك، فحرموا الوصول من تضييعهم الأصول، فالعالم الذي لا ينقطع نظره عن الدنيا بالنظر إلى الآخرة فليس بعالم، والفقير الذي لا ينقطع نظره عن الآخرة بالنظر إلى الله فليس بفقير، فعليكم بأصول الطريق إن شئتم الوصول إلى كمال التحقيق، وأصولها هو ما قلناه لكم قبل وسنقوله لكم إن شاء الله بعد هذا واسمعوه وتأملوه وتفكروا فيه ليلا ونهارا ولا تهملوه إذ ما سلك أحد ولا يسلك إلا عليه وهو أن تكونوا ضعفاء الناس للناس ودوموا على ذلك حتى لا تروا

---

(1) فيقوا: أي انتبهوا واستيقظوا.

ضعفا لنفوسكم ولا قوتها إلا القوي سبحانه وتعالى، وكونوا أجهل الناس للناس ودوموا على ذلك حتى لا تروا لنفوسكم لا علما ولا جهلا إلا العليم، وكونوا أذل الناس للناس ودوموا على ذلك حتى لا تروا صغيرا ولا كبيرا إلا الكبير المتعال وهو الله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته، وهكذا إلى ما لا نهاية لهذا التعبير، فالنفس إذا حققها صاحبها بوصفها تطهرت وتروحنت وصعدت إلى ملكوت رب العالمين، وإذا تصرفت هي فيه وحققته بوصفها هبطت إلى أسفل سافلين، إذ الآدمي من حيث هو لا بد إلى أعلى عليين أو يهبط إلى أسفل سافلين لا غير، ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ الآية، إذ لا حجاب على قلب العبد سوى أوصاف البشرية، فاخرجوا عن أوصاف بشريتكم إن شئتم أن تكونوا عارفين بربكم، ولا تتركوا منكم فيكم بقية لنفوسكم ليصدق عليكم قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 111] عند العارفين بالله والذين لم يشغلهم عن مولاهم شيء سواه، ولا ينبغي أن يحمل كلام الله إلا على الغاية، فبيعوا أنفسكم ولا ترجعوا فيها، ما أحسن من تركها ولا يعود إليها، وما أقبح العكس، إذ كل من رجع إليها سببه رضاه عنها أو خوفه منها لا غير، فلا ترضوا عليها ولا تخافوا منها إذ هي أمر وهْمي عدمي لا وجود لها ولكن جعلها الحق تعالى قهرية ليعرف الكاذب من الصادق، والكاذب قهرته بوصفها وسجنته في ليل ظلامها، والصادق قهرها بتحقيقه وطورها في تصديقه فأظهر له الجمع في تفريقه، فافهموا يا إخواني واهبطوا ولا تطلعوا لتطلعوا، وافتقروا ولا تغتنوا لتغتنوا، واضعفوا ولا تقووا لتقووا، واصمتوا ولا تتكلموا لتتكلموا، واذلوا ولا تنعزوا لتنعزوا، وجوعوا ولا تشبعوا لتشبعوا، إذ الأشياء كامنة في أضدادها إن شئتم الدخول ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ ، إذ كل من أراد الدخول على الحرية من الحرية فقد أراد المحال، فسيدكم وإمامكم من جاء تحتكم كلكم صغيركم وكبيركم، وعبدكم وعبد عبدكم من جاء فوقكم كلكم، فعليكم بالعناد على السُّفليات، إذ كل من تعاند على العُلويات فهو الجاهل الكبير، والسلام.

الرسالة الحادية عشر

من عبد الله محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله إلى كافة إخواننا الفقراء أهل الرباط وسلا المتجردين والمتسببين، السلام عليكم والرحمة والبركة، الله أكبر ما أحسن الفقير الناسي لنفسه على الدوام وإن كان قليل الذكر، وما أقبح الفقير الذاكر لنفسه على الدوام وإن كان كثير الذكر، إذ لا ينفع كثير الذكر مع ذكر النفس، ولا يضر قليل الذكر مع نسيانها، فإن وقت الذكر كله غفلة عند ذكر النفس، والذاكرُ عند نسيانها لمحة يقظة عند الذاكرين، إذ لا يذكر الله من ذكر نفسه وإن كان ذاكرا باللسان، ولا ينسى الله من نسي نفسه وإن كان لا يذكر باللسان، فإن الناسي لنفسه ذاكر الله بقلبه، وذكر القلب هو الذكر، والذاكر لها غافل عن الله بقلبه، والغفلة بالقلب هي الغفلة، إذ كل من نسيها سببه ذكر الله بقلبه شعر أم لا، وكل من ذكرها سببه نسي الله بقلبه شعر أم لا، فعليكم بنسيان نفوسكم إن شئتم أن تكونوا ذاكرين لربكم، ولا تذكروها لئلا تكونوا غافلين عن الله في حالة الذكر، وقد قلنا لكم من لا يذكر الله بقلبه فقد ذكر نفسه، لأن الذكر الحقيقي الذي هو ذكر الخواص هو بالقلب، والقلبُ قلنا لكم لا يكون إلا بنسيانها، فالذاكر لنفسه راجع عن الله من حيث لا يشعر، فالناسي لها سائر إلى الله بقلبه، وسير القلب كراكب السفينة يركب من بلد يعرفها فإذا هو في ساعة قليلة في بلد لا يعرفها، وهذا السير المعنوي أكثر وأكثر، فسيروا إلى الله بقلوبكم وجوارحكم، ولا تسيروا بجوارحكم فقط إذ هذا سير العوام لا يعبئون بالقلوب من قلة معرفتهم بها وبأربابها إذ الجوارح وسيلة إلى القلوب وهم يظنون لطف الله بنا وبهم أنها هي الغفلة، إذ الحق سبحانه خاطب القلوب فقال ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ وقال ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ والقلوب لا توجد إلا بفقد النفوس، كما أن النفوس لا توجد إلا بفقد القلوب، إذ لا يحضر لأحد قلبه حقًا وتحضر له نفسه أبدا، ولا تحضر له نفسه ويحضر له قلبه أبدا، إذ هما ضدان، والضدان لا يجتمعان، القلب نور والنفس ظلمة، والنور والظلمة لا يجتمعان أبدا، مهما حضر الواحد غاب الآخر. الظلمة ذكر النفس، والنور ذكر الحق. الخاصة إن ذكروا نفوسهم أيسوا من الخير إلا إن رجعوا لنسيانها سريعا لأنهم يعرفون أن المدار على القلوب لا على الجوارح، والعامة تراهم

يذكرون نفوسهم وهم يذكرون الله باللسان ويظنون أنهم ذاكرون وهم غافلون في ذكرهم، لأن الذكر باللسان مع غفلة القلب خير من ترك الذكر باللسان والقلب، اللهم وفقنا وإخواننا لكمال المعرفة بالله آمين. واعلموا رحمكم الله أن القلب مدينة بين ملِكيْن دائما يتخاصمان عليه، الواحد منهما ساكنه أبدا يعني الغالب، والمغلوب مطرود عنه أبدا، إن جئنا في عون روحانيتنا أمدنا الله سبحانه بالقوة وأسكنه جنود النور، وإن جئنا في عون بشريتنا أمدنا الحق بالضعف وأسكنه جنود الظلمة، فجيئوا في عون روحانيتكم بالبعد عن أوصاف بشريتكم، ولا تجيئوا في عون بشريتكم بالبعد من أوصاف روحانيتكم، فإن قربتم من أوصاف بشريتكم ذكرتم نفوسكم، وإن ذكرتم نفوسكم نسيتم ربكم بقلوبكم، وإن حصل لكم البعد من أوصاف بشريتكم نسيتم نفوسكم، وإن نسيتم نفوسكم ذكرتم الله بقلوبكم، وإن ذكرتم الله بقلوبكم كنتم أهل الله لا أهل الهوى، إذ لا شيء يذكره العبد بقلبه غير ربه أو نسيه لا غير، وذكر الله له نتائج لا تعد ولا تحصى، كما أن ذكر النفس أيضا له نتائج لا تعد ولا تحصى، الذاكر لنفسه عبد الأشياء كلها أحب أم كره، والذاكر لربه الأشياء كلها خديمة له مسخرة بين يديه أحب أم كره، الذاكر لنفسه عبد الخير والشر أحب أم كره، والذاكر لربه الخيرُ والشرُّ عبيد له أحبوا أم كرهوا، والذاكر لنفسه يطلب الأشياء كلها بالليل والنهار ولا يجد منها شيئا في وجودها، والذاكر لربه تطلبه الأشياء كلها بالليل والنهار ولا تجد منه شيئا في وجوده إذ هو لله لا لها، كما أن الذاكر لنفسه هو للأشياء لا لله ولذلك صار لا يجد منها شيئا في وجودها. الجاهل يظن أنه ملك الأشياء فلم يزل قليلا حتى تتركه وتذهب إلى أين شاءت فيبيت في الخلاء لأنه كان في الخلاء وهو لا يشعر، كما أن العالم بالله العارف به حقا تظن الأشياء أنها ملكته فلم يزل قليلا حتى يتركها ويذهب إلى أين شاء فتبيت في الخلا لأنها كانت في الخلاء وهي لا تشعر، إذ العالم بالله الذي هو العارف لا يذكر نفسه أبدا ولو ذكرها لذكر الأشياء كلها ولو ذكرها لكان عبدا لها ولو كان عبدا لها لما كان عبد الله تعالى، إذ العبد مهما ذكر شيئا من الأشياء بقلبه نسي الله وكان مملوكا لسائر الأشياء، كما أن الذاكر لله بقلبه إن تعرضت له في قلبه شيء من الأشياء ثم نسيها وذكر الله نسي جميع الأشياء وكان مملوكا لله، واعلموا رحمكم الله أن من ذكر

شيئا من الأشياء ذكر نفسه، ومن ذكر نفسه ذكر الأكوان كلها، إذ النفس هي الأكوان الحاجبات على أسرار المنان، وسبب وجود النفس الظلمانية الوهمية الخالية اتباعها للشهوات والعوائد لا غير، إذ لو تركنا ذلك تركا كليًّا لغابت عنا نفوسنا غيبة كلية، ولو غابت عنا نفوسنا غيبة كلية لغابت عنا الأكوان غيبة كلية كما غابت عن أولياء الله جملة ولكنا في القرب من الله على الدوام، وذلك بسبب حياة روحنا، وحياتها بسبب موت نفوسنا، وموتها بسبب بعدنا عن شهواتنا وعوائدنا التي هي ماء بشريتنا، فاتركوا وفقنا الله وإياكم أوصاف بشريتكم وتخلقوا بأخلاق روحانيتكم التي هي أصل خلقتكم قبل أن تكونوا لنفوسكم، فبذلك تكونوا عارفين بربكم، وإلا فلا معرفة، ولا تكونوا كمن يدعي المعرفة بالله ونفسه مثل الجبل لم يهدم منها حجارة، وحجارة جبال النفس الأوصافُ الذميمة من حيث هي، فإن هدمتم جبال النفس بني جبال الروح، فجبال النفس بني بالحجر والخشب، وجبال الروح بني باليواقيت والجواهر، وجبال النفس بني بالجهل، وجبال الروح بني بالعلم، وجبال النفس بني بالأوصاف الذميمة، وجبال الروح بني بالأوصاف الحميدة، وجبال النفس بني بالأوهام والخيالات والظنون والشكوك، وجبال الروح بني بالتحقيق والتدقيق والسر الرقيق. واعلموا رحمكم الله أن من أراد أن يعرف هل هو خاص أم عام فليقابلْ نفسه مع الصبيان الصغار الذين لا عقل لهم، فمن وافق خلقه الصبيانَ فهو فيه خاص، وما لم يوافق فهو فيه عام، فكما أن الصبي لا مبالاة له بنفسه ولا بأبناء جنسه، كذلك الولي لا مبالاة له بنفسه ولا بأبناء جنسه. الصبي خلقه خلق أهل عالم الملكوت، وكذلك الولي خلقه خلق أهل عالم الملكوت، والولي أعظم لأن الولي له عقل والغيبة عن العقل في العقل أشد من خلق الصبي، فالصبي له حمق بلا عقل، والولي له حمق وعقل أو تقول جذب وسلوك، وقد عبرنا على الجذب بالحمق يعني الحمق في الله وعلى الله فنعْمَ الحمق وذلك حمق الخواص لا حمق العوام، وعندنا أن كل من أتاه عقله في شيء غير الله تعالى فهو أحمق، إذ العقل هو الذي يكون في الله أي يصرف كلية صاحبه في الله، فالولي صارت نفسه كالسراب والخلق كالتراب، وكما أن الصبي لا تدبير له ولا اختيار ولا حرص ولا غضب ولا بخل ولا حسد ولا غير ذلك وإن صدر منه شيء يشبه ذلك فهو غير مقيم فيه، فكذلك الولي وإن صدر

منه شيء يشبه ذلك فهو عابر لا يقيم عنده أبدا، إذ لا يقيم إلا في أوصاف روحانيته، فالصبي ملكته الأنوار ولذلك أقل شيء يبسطه ويقبضه، والولي ملك الأنوار ولذلك تراه كالجبل الراسي لا يزحزحه ريح من الأرياح ولا يسمع صيحة من الصياح: هذا حال الكُمَّال، والسائر مثلنا إن ظهر له من أوصاف بشريته لا يرضى عن نفسه ولا يصطلح معها حتى يردها عنه إلى ضده الذي هو الوصف المحمود أحبت نفسُه أم كرهت ولا يزال معها هكذا حتى يقع له منها الإخلاص..... خلصنا وإخواننا ومن تعلق بنا إلى يوم الدين آمين. واعلم أنه لا فرق بين العوام والخواص سوى الخروج من الأوصاف الذميمة والدخول في الأوصاف الحميدة، وانظر هنا العوام يزدحمون على أوصاف البشرية كما يزدحم الذباب على اللبن، والخواص يزدحمون على أوصاف الروحانية كما يزدحم النحل على العسل، **ومن زعم أن الولاية شيء زائد على التخلق بالأوصاف الحميدة قلبا وقالبا فهو جاهل بها وبأهلها**، إذ لا يطلب من الفقير كرامة غير الأخلاق الحميدة إذ هي الكرامة التي ينبغي لكل واحد أن يفني عمره في طلبها، إذ بصاحب الأخلاق الحميدة يعبؤوا وإليه ينظروا وبه يُقتدى ولو كان لا كرامة له حسية سيما حاش من له أخلاق حسية أن يخلو من شيء أبدا من الخير، ولا يُعبؤ بكرامة صاحب الأخلاق السيئة وإن كانوا كالسحاب حتى يتأدب ويتهذب. واعلم أن من ظهرت عليه الأخلاق الحميدة في وقت لا يمكن أن تظهر من غيره إلا الأخلاق الذميمة فهو الولي إذ لا يحلم وقت الغضب إلا الولي الكامل إلى غير ذلك، وهذه هي الرُّجْلَة عند الرجال إن ذكرتك نفسك فتذكر ربك وتنساها كما ذكرنا، ما دام الفقير تذكره نفسه ويذكرها فهو بعيد من الله فافهموا، واذكروا الله في كل حال وقت الضيق والتّاسيع[1] ووقت القبض والبسط ووقت الوجد والفقد ووقت الضعف والقوة ووقت البعد والقرب ووقت المرض والصحة إلى غير ذلك حتى تصيروا مع اللـــه صادقين ولحضرته لائقين وبالسباق لاحقين.

---

(1) التّاسيع: أي التوسعة.

الرسالة الثانية عشر

مـــن عبيد ربه وأقل عبيده محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله بمنه إلى إخوانـــنا في الله أهـــل سلا وغيرهم من الحواضر والبوادي، السلام عليكم والرحمة والـــبركة..... فـــشيء خفيف من الأسباب الدينية والدنيوية تكفي صاحبها إذا حـــضرت القلـــوب، وإذا غابـــت فلا يكفي شيء من ذلك لا خفيف ولا ثقيل، والقلوب لا توجد إلا بعد طهارتها من حب الدنيا وأهلها وجملة الشهوات والعوائد، ولا شك أن حب الدنيا هو أصل ذلك كله، إذ لولا حبها ما ظهر في الإنسان وصف مذمـــوم أبـــدا، فالقلوب إذا تطهرت من حبها سكنتها جنود الأنوار وظهرت على الجوارح المحاسن والأسرار، والدنيا جميع ما يلتفت إليه القلب ولو لقمة خبز وخرقة وخـــيط وإبـــرة وغـــير ذلك، فإن كثيرها هو قليلها، وقليلها هو كثيرها، فافهموا واحـــذروا أن تسكنوا لشيء سوى مولاكم بقلوبكم ولا بجوارحكم، ودوموا على ذلـــك حـــتى يـــصير سكونكم لا لشيء سواه، وبذلك تتحررون من رقة الأكوان وتصيرون عبيد الواحد المنان. طهِّروا ظواهركم يا إخواني إن شئتم طهارة بواطنكم، إذ الظاهـــر عين الباطن، مهما حصلت طهارة الظاهر حصلت طهارة الباطن، إذ ما حجبـــنا عن الله تعالى سوى اشتغال ظواهرنا بالشهوات والعوائد لا غير، إذ بذلك عظمـــت الـــنفوس وماتت القلوب وفقدنا الأسرار والأنوار، ولو تركنا ذلك لماتت نفوسنا ولحييت قلوبنا ولشهدنا الحق أقرب إلينا منا بعين بصيرتنا شهودا لا حجاب عليه، فالحجاب الذي هو على الأنوار هو اشتغالك بالأغيار والأكدار، مهما اشتغلت الظواهـــر بذلك انطمست البصائر عن ذلك، فابعدوا عن ما يشغلكم عن الله تعالى بقلـــوبكم وجـــوارحكم كما ذكرنا لكم بذلك مشاهدة كما شاهدوه أهل التحقيق رضـــي الله عنهم الذين باعوا نفوسهم لربهم بيعا بلا إقالة وزادوا فلوسهم تهديدا لا غير، فإن هذا الأمر لا قيمة له إلا موت النفوس، إذ كل من نفسه حيَّة لا يطمع فيه ولـــو كان صائما قائما متجردا، إذ الأعمال كلها وسائل للإخلاص الذي هو موت الـــنفوس، فصار من لا يتخلص من نفسه لا يطمع في شهود عظمة ربه، ولا سبيل للإخـــلاص إلا بنـــسيانها، ولا سبيل لنسيانها قبل أن يسْكن بها السُّفْـــلِيـــات، إذ

السفليات لا حظ لها فيهم أبدا، والسفليات هو كل ما يثقل عليها في المباح لا المكروه، إذ الصادق يقتل نفسه بقليل المباح، والكاذب ربما يوقع في المكروه ولم يحصل شيئا والسلام. وإن شئتم بارك الله فيكم أن تنصحوا عباد الله فحضُّوهم على البعد من الدنيا وأهلها إذ هما أصل الهموم والغموم والحزن والضيق والنكد وسائر أنواع الحجاب، وحضُّوهم على الذكر والفكر وسلامة الصدر وصدق اللسان وتعظيم الخلائق جملة بالقلوب وبالجوارح ما هو أهلا للتعظيم، إذ هذا يوصلهم إلى حقيقة المعرفة، وحضُّوهم أيضا على الاستبراء التام وطهارة الثياب والبدن والبقعة وتقليم الأظفار وتحسين الوسط والإبط وسائر طهارة الجسد، فإن طهارة الجسد تدل على طهارة المعنى، وأن لا تفتنوا الناس على الأعمال الصالحة كالصلاة والتلاوة والتدريس وغير ذلك إذ ذاك كله يزيد للفقير تظليما لسريرته وخمود أنوار روحانيته، وتهلوا في الكبار ولا بد ولا بد، والكبار يتهلون في الصغار، ولا صغير في الحقيقة، (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) الحديث، فانظروا عباد الله بالتعظيم، ولا تحقروا شيئا من الأشياء، صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء، انظروا ماذا في السماوات فافهموا، كفاكم بالجاهل الذي ينظر الناس بعين التصغير أنه غير شاكر لله، والذي ليس بشاكر لله ليس بذاكر، لو كان ذاكرا لكان شاكرا، ولو كان شاكرا لكان ناظرا عباد الله بعين التعظيم والإجلال والسلام، وأيضا احذروا وقت المذاكرة من المحاججة والملاججة، ولا تنظروا لأنفسكم مزية إذ هي من أعظم الانتصار، إذ النفس الأمارة من شأنها تحب أن تعرف بالعلم والمعرفة والصلاح وغير ذلك وترك الاكتفاء بعلم الله وراء ظهرها وذلك كله لجهلها بالله، وبالجملة فلا تنتصروا لأنفسكم ولا تنظرون لها قليلا ولا كثيرا، ومن رأيتموه انتصر لها اتركوها له في عنقه واذهبوا، فإن المذاكرة هي من أعظم الذكر ومن أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى الله تعالى، وأما إذا رجعت محاججة وملاججة رجعت مناجات الشيطان، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين، إذ محال تقوى نفس الفقير في المذاكرة ويجد حلاوة الذكر أبدا، إذ الحلاوة بالله توجد في الغيبة عن النفس، لأن طريقتنا طريق الصوت الطغث، فمن هبط أوجدها ومن طلع أخطأها ولو كان عالما زاهدا وغير ذلك، والسلام.

الرسالة الثالثة عشر

من عبد الله تعالى محمد البوزيدي الحسني إلى كافة إخواننا أهل سلا وغيرهم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

فقد كتبت كتابا لبعض الإخوان فيه ثلاث وصايا اسمعوهم وتأملوهم إذ هم والله روح الطريق وذات التحقيق، إذ لا مدخل لأحد إلا عن بابهم، ومن تخلف عنهم لا مدخل له، ومن زعم الدخول وهو لا يتمسك بهذه الثلاث فهو الجاهل الكبير. **الوصية الأولى** قلتُ لهم فيها: الفقير إذا زهد في الدنيا وقنع بالقليل منها وآثر الله على نفسه بذلك القليل ولا يقول إني فقير ومحتاج وأنا أولى بذلك من غيري بل يمنع نفسه من ذلك ويخرجه كرها عليها أحبت أم كرهت ليصدق عليه قوله تعالى﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: 9] عند ذلك يشهد السرور ويكاشف الفقير الصادق بحقيقة الأمور ويكون بربه لا بنفسه، انظروا كيف نبَّه ابن عطاء الله رضي الله عنه بقوله (الفاقة أعياد المريدين) وقال أيضا (ربما وجدت من المزيد في الفاقة ما لم تجده في الصوم والصلاة) إذ النفس ما دامت متسعة وهي لا ترحل من هذا العالم، وإذا لم ترحل لا خير فيها ولا نور ولا سرور ولا ذوق ولا حال، فأدخلوها في الضيق إن أردتم الوسع، والضيقُ جميع ما تكرهه عند نفسها وعند أبناء جنسها ولا يخفى عليكم والله تعالى أعلم.

الوصية الثانية قلتُ لهم الفقير إذا فارق سوق النساء ولم يقرب صغيرة ولا كبيرة إلا ما أحل الله وذلك عند الاضطرار لا غير فإنه ينال من الله القرب التام، إذ هن يشتتن الفكر ويمنعن الذكْر ويحجبن عن السكر ويستجلبن النظر، إذ ما من فقير قرُب من النساء إلا وقد أخذ باطنه وقيل ظاهره إذا أراد الله به خيرا، إذ هن كالثعابين الصغير يهلك والكبير يهلك إلا من سلمه الله وقليل ما هم، فاحذروا النساء فاحذروا النساء.

الوصية الثالثة قلتُ لهم الفقير إذا سكت بلسانه ولم يتكلم إلا فيما يعنيه كالذكر والمذاكرة والتلاوة والصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ما يناسب حاله لا يرى شرا قط، **فما من مصيبة أتت الجوارح والقلب**

إلا أصلها من إطلاق اللسان فيما لا يعني، وغير الذكر وما لا يتوصل به إلى حقيقة الذكر كله مما لا يعني، وما دام الفقير فيه شيء مما لا يعني وهو بعيد عن الله، فإن **عبادة أهل القلوب ترك ما لا يعني**، فإذا زال ما لا يعني لم يبق إلا ما يعني، والفقير الحقيقي هو الذي يعبد الله بالقلب لا بالجوارح فقط، إذ كثير من الناس لهم عبادات كثيرة بالجوارح والقلبُ فاسد وذلك من عدم معرفتهم بما لا يعني، وأصل فساد الإنسان اللسانُ، فاصمتوا فاصمتوا فإن كثرة الكلام بالعلم بالله عند أهل العلم بالله جهل فما بالك بغيره، والسلام.

الرسالة الرابعة عشر

من عبد ربه وأقل عبيده محمد البوزيدي إلى الشريف العلمي سيدي محمد بن الطيب حفيد الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، نفع الله بالجميع بجاه النبي الشفيع، السلام على أخينا والرحمة والبركة، **لا أذاقك الله يا سيدي طعم المخلوقات ولا طعم سماع حديثهم**، فإن ذقت هذين الأمرين لم يذق قلبك بعدهما خيرا ولا نورا ولا علما ولا حكمة، إذ هما والله قُطَّاع الطريق، لِكل مريد غير صديق، فمن حصل في شبكتها امتنع من الزيادة، وردته نفسه سريعا لكل شهوة وعادة، فجنب ذلك ما استطعت إن أردت فتح الباب ورفع الحجاب والانخراط في سلك الأحباب، فسبب منع رضاهم والاستماع لحديثهم حب الدنيا، وسبب حب الدنيا جهل القلب، ولو أن القلب ذاق شيئا من العلم لأبغضها، ولو أبغضها لعظمت مراقبة الله في قلبه ولغاب عن مراقبة المخلوقين وكانوا عنده كالحجر لا يرى منهم رؤية نفع ولا ضر وهذا هو العالم، وليس العالم من كان كثير الحفظ والنقل والفهم وغير ذلك،إنما **العلم نور ينبته الله في القلوب بسبب الزهد في الدنيا وأهلها، كما ينبت الجهل بسبب الرغبة فيها وأهلها**، فافهم يا أخي وفِقْ من نومك وارجع إلى ربك بجوارحك، فإن قلت انا عند ربي نعما لكن حصل الانحطاط من الرتبة العالية التي هي التجريد إلى الرتبة التي دونها بكثير وهي رتبة الأسباب ما أبعد هذا من هذا فافهم، وقد خرج التصريح، دون الإشارة والتلويح، فالبس يا أخي مرقعتك وطفْ

علـــى الفقراء ليزيدوا بك إلى ربك وتزيدهم أنت كذلك، المومن للمومن كالبنيان المرصـــوص يشد بعضه بعضا الحديث، إذ التجريد حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحال الصحابة والأكابر من الأولياء رضي الله عنهم كمولانا عبد السلام والجنيد والشاذلي والجيلاني وأضرابهم، واعلم يا أخي أنه ما نال أحد معرفة الله ونفسُه لها بقية فليس عنده بهذا معرفة وعند غيري ومعرفتها حقًّا هي معرفة الله، ومعرفتها لا تحصل لأحد قط إلا إذا ذبحها بسيف الفقر وقطع عظامَها وجلودَ بـــشاقور[1] الذل وأتى بها إلى قدْرة الصدق بحنط الإيثار والسخاء وأوقد تحتها نار الـــصبر وحـــرِّكها بمعرفة الرضا والتسليم وأعمل عليها أبازير القناعة وبصل الورع وسمـــن الحلم وجعل فيها ماء العلم ثم صبها في مخفية الخمول وأرفعها بيد المسكنة وأنهشها بلسان الزهد وأمضغها بفم المحبة وأدخلها بطن الشوق، فبهذا يمتحى اسمها ويزول رسمها، فإذا سلك الفقير هذه المقامات وصل من المعرفة أعلى الدرجات يا أخـــي، والخَلْـــقُ محذوفون في إثباتهم مفقودون في وجودهم، لكن أثبتهم الوهم من حـــيث الجهل بالله وصاروا في عين صاحبه عظاما من حيث الغفلة عن الله وانتقلت مراقبة الله بمراقبتهم لتعلقهم بتعلقه وتدلت محبته بمحبتهم، فهذا شرك خفي يكاد أن يقطـــع من قلب صاحبه عروق الإيمان، فاهرب يا أخي لربك بقلبك وجوارحك، وكـــن له ليكون لك، ولا تكون لنفسك لئلا يوكلك إليها فتهلك، وإن أردت أن تكون لله كما تحب ويكون لك هو سبحانه كما تحب فاخرج عن فلسك وجنسك خـــروجا لا رجوع إليهم أبدا والسلام، إذ الخلق يقربك من الدنيا، والدنيا تقربك مـــنهم، وما نال أحد من القرب من الله بلا إعراض عنهم وعن دنياهم قال جل من قائـــل ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ صدق الله العظيم، والسلام.

---

(1) شاقور: أي سَاطُور.

الرسالة الخامسة عشر

مـــن عبد الله محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله إلى أخينا في الله العالم العلامة سيدي محمد بن الهاشمي محراش الحسني، سلام عليكم والرحمة والبركة.

سيدي **لما أراد الله الأخذ بيدنا حققنا بولاية ولي من أوليائه فمنعنا أذننا من اســتماع حديث المخلوقين قبيحا كان أو مليحا وذلك بتوفيق من الله سبحانه،** لأن المليح ربما يعطل صاحبه عن المسير إلى الله ويمنعه دخول الحضرة لأنه فيه حظ النفس ولا يتذكر، ولا يذكرون الله عند حظها إلا الرجال الكبار وقليل ما هم وهم الذين استوت عندهم الأحوال لغيبتهم في المُحَول، والقبيح لا حظ للنفس فيه فيليق بالضعيف مثلي ليرده إلى ربه ويقهره عن شهوات نفسه، وأقرب ما يكون العبد من الله وأحـــبه عند الله وأنفع للقلب من كل شيء الوقتُ الذي لا حظ للنفس فيه إن حضر معه الصبر والمراقبة ولا سيما إن حضر معه الحضور يعني العيان، وأيضا أقرب مـــا يكـــون العبد من الله عند وقت الانكسار، ولا ينكسر إلا إذا فقد حظ النفس، وعند فقدان حظوظها يكون الرجال عند الله عز وجل من غير عبادة، وهذه المعنى لطيفة رقيقة لا يفهمها إلا أهل القلوب وأريهم يا سيدي محمد، رحم الله سيدي أبا مدين الغوث رضي الله عنه حيث قال في بعض قصائده:

متـــى أراهم وأنا لي برؤيتـــهم أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

فـــافهم. **ومنعـــنا أيضا بصرنا من النظر إليهم بما هو متجلي فيهم أدبا معه ســـبحانه،** قال مولانا أسمعْ بهم وأبصر ما أشار إليه الحق إلينا وتأملها، وإياك والجهل مع وجود العلم، قال مولانا عز وجل ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ، فإذا حضر التدبر فكل واحـــد يأخذ منه أي من القرآن على قدر قربه إلى الله، وبقدر القرب إلى الله تشرق البصيرة بالأنوار، فيطالع بها الأسرار التي هي وراء الأسرار فافهم، **ومنعنا أيضا فهمنا مـــن الكلام معهم أدبا معه سبحانه لتحقيقنا بهم التحقيق ورسوخنا وتمكننا فيه،** لأن علـــم التحقـــيق يمنع صاحبه المجادلة والمحاججة، وذلك لشدة الاكتفاء بعلم الله وجواب من تحقق قال مولانا تعالى ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: 63]..... اللهم اغفر

لقومي فإنهم لا يعلمون فافهم، وقد جاد الله علينا سيدي بالبصيرة انفتحت فغبنا بما أشرق في سمائها من الأنوار، بصحبة المقربين الأخيار، فحققنا الحق بتحقيق الحقائق، وفهَّمنا سبحانه معاني الرقائق والدقائق، ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ صدق الله العظـــيم، حمدنا الله وشكرناه حيث ذكرنا وذكرناه وأحببنا فأحببناه قال مولانا تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: 54] وقال ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: 21] صـــدق الله العظيم. قد تقدم سيدي جوابنا على السؤال مـــن غير حاجة لقوله سبحانه ﴿ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: 63]، ولولا خفتُ عليك أن تشتغل بهم عن الله لما رأيت مني جوابا إليهم لا قليل ولا كثير، **فجَوابُ من يشتغل فينا الاشتغالُ بالله والانقطاع إليه**، وأجيبك إن شاء الله فإن الإنكار على أهل هذا الطـــريق إلى يوم القيامة ولا سيما في هذا الوقت الذي يعتقدون الجميع أنها مقطوعة لكثرة غربتها من باب أولى وأحرى، وستظهر إن شاء الله ظهورا لا خفاء بعده رغما على أنف كل أحد، وقال سيدي أحمد زروق رضي الله عنه حين أنكروا عليه بعض ممن هو جاهل بأحوال الرجال وطريقهم لما رأوه بالغاً في المباح غاية وقيل زاد في المكـــروه وهو الصحيح فقال ما لم تقو جدا يعني الكراهة وقال ربما أنكرها عليهم من لا يعرف مقاصدهم والسؤال جائز للمضطر..... رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (من مات جوعا ولم يسأل دخل النار)، فإن كان السؤال مباحا في وقت الحاجة فغايته مكروه من غير حاجة وإن كان حراما لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم المضطر، فالعارف إذا سأل من غير حاجة فمراده بذلك قوت الأرواح لا قـــوت الأشباح..... يظهر لي أن الذين ينكرون علينا يموتون على حب الدنيا وحـــب الجاه والتفاخر وإظهار العلم لا على الاكتفاء بعلم الله، وهذا هو السبب في الرضـــا عن النفس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن كانوا سالمين من هذه العلل نتكلم معهم أو نحط لهم رأسنا، ويا ليتهم تحققوا بوصفهم واقتصروا على المسكنة وأنزلوا نفوسهم منازل العبيد لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتا، وأيضا يا سيدي هؤلاء القوم أهل قلوب، والذين ينكرون عليهم أهل جوارح، فإذا لم يعذروهم أهل القلـــوب فليـــسوا بعـــارفين بالشهود والعيان، وأهل الجوارح إذا لم يعذروهم أهل القلـــوب فليسوا بعارفين بالدليل والبرهان، وكذلك أهل المراقبة الكبيرة المستشرفة

علـــى المـــشاهدة وأهـــل الفطرة الذين هم من خيار العوام القريبين العهد من الله. الحاصلُ: أهل الشهود والعيان يعذرون من عذرهم ويعذرون من لم يعذرهم فيعذرون من لم يعذرهم لعدم معرفتهم بالله أعني المعرفة الحقيقية وهم لا يعذرون أهل القلوب لأن معـــرفتهم مجازيـــة وعلامةُ كونها مجازية أنها إذا خرجت عليها المعرفة الحقيقية هدمتها، والمعرفة الحقيقية لا يهدمها شيء، فإذا رأيت من تكبر على أهلها فاعلم أنه حاسد أو منافق أو راض عن نفسه أو جاهل، وأصلُ ذلك كله الجهلُ بعلم التحقيق، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر)، اشتغال العبد بعيوب الناس عن عيوب نفسه وذلك لبعد القلـــب من العلم، ولو استنشق رائحة العلم لاقتصر على ما يليق به..... الجـــوارح من خوض القلب في الأكوان، ولو اقتصر على الأحوال الحسنة لاقتصرت الجـــوارح، ومـــن علامة الاقتصار إظهار ذلك على الجوارح لحسن الظن بعباد الله وسلامة الصدر وحسن الخلق وما أشبه ذلك فهذه ثمرة القلب الذي روي بماء العلم، في الحـــديث (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب)..... أصلحْ جوارحك يصلح قلبك، ولا سبيل لإصلاح القلـــب إلا مـــن الجوارح، فرد جوارحك عن الهوى يرجع قلبك، فاشتغل يا أخي بعيوب نفسك وقصر من حسك ودع جنسك واجعل بالله أنسك تنفتح لك إن شاء الله بـــاب قدسك، وأيضا من يتعلم علم التحقيق وهو روح الأدب فصفاته عن أهله بالصحبة والخدمة والأدب والتواضع والاستماع وإعطاء النفس والمال بالكلية لا ينال منه شيء لا ينال منه شيء لأنه أمر عظيم عظيم كبير كبير وبعد هذا لا يـــنال إلا بفـــضل الله ورحمته ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 73] صدق الله العظيم انتهى. وأما المنكرون يا سيدي فهم مسلطون على أهل هذا الطريق تقوية لهم وتأييدا واختبارا من الحق سبحانه ليميز الخبيث، لولاهم لوقع التعطيل عن المسير إلى الله ولرجعت المحبة دعوى، ولولاهم لسكن القلب في ظل العز والجاه والمدح والثناء ولوقـــع بذلك الوقوف، ومن وقف رجع، بهم يعرفون الرجال نفوسهم هل هي ميتة أي خالـــصة لله: فإن لم تحب الإذاية من جميع المخلوقات فهي لم تمت، فيجتهدون في إخراجها عن عوائدها، وعلامة خروجها من عوائدها حب الإذاية، ولا تؤذي هي

أحـــدا لا ظاهرا ولا باطنا، فهذه علامة إخلاصها، والمراد بالإخلاص السكون في الحضرة والاستقرار فيها، والإذاية تارة تبرز من النفس وتارة تبرز من الجنس وهذا هو المعبر عنه بالتعرف، فالعارف الحقيقي يشهده من الله لا من نفسه ولا من جنسه ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 78].

لمـــا تحقـــق ابـــن عطاء الله رضي الله عنه بهذا المعنى قال (إلهي قد علمتُ باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلـــك في شـــيء) وهذه هي المعرفة الكاملة، ومن لم يصل إلى هذا المقام فعليه بالمجاهدة إن كان متمسكا بشيخ وإلا فليلجأ إلى مولاه يجده قريبا، والسلام.

الرسالة السادسة عشر

أما بعد فالأمور التي سألتني عنها تقدم جواب جلها حيث لقيتمونا أول مرة إن فهمـــتَ معـــناها وفي الكتاب الذي بعثناه إليكم إن فهمت، وتأمل ما قلناه وإلا يا ســـيدي إن كـــان مرادك علم الأذواق فعلم الأذواق لا ينال بفهم ولا بمراسلة ولا ببلاغة ولا بحفظ، بل ينال بمحبة أهل الأذواق وانحطاط الرءوس إليهم وترك ما هو عاملـــه وعالمه وحاله وأحواله، ثم بعد ذلك يقوده أهل الحضرة إلى الحضرة ويرفعون عنه ما حجبه عن النظرة ثم تفيض عليه العلوم وتنفتح له أبواب الفهوم ثم يجلس مع الأخـــيار ويشهد ما شهدوه من الأسرار والأنوار، وإن شئت سيدي معرفة الأشياء علـــى ظاهرها كما يطلبها كثير من الناس فأخبرنا نجاوبك عنها إن علمنا الله وإلا فنسكت، وسكوتنا مع معرفتنا فيها أولى، لأنا إن جهلنا مع وجود المعرفة كان ذلك تشرفا لنا، وإن جهلنا مع عدم المعرفة كان ذلك وصفنا، من لم يتحقق بوصفه كان دلـــيلا على جهله، تحققْ بأوصافك يمدك الحق بأوصافه. وأيضا **إن سألتَ وليًّا من أولـــيائه فاســـأله عن حقيقة عبوديتك ولا تسأله عما هو ناشئ عنها**، فهذا الذي تـــسأل عنه هو ثمرة العبودية، فإن كنت سائرا في الطريق وتجلتْ لك بعض المراتب والمقامـــات ثم غـــشاك السكر مع الصحو عند الاستشراف على البقاء فلا بأس إن ســـألت عن ذلك واستشرفتَ على الفناء يشكل عليك التوحيد أعني الجمع لقرب عهـــدك من الفرق أيضا فلا بأس بذلك وهذا مع ملاقات الشيخ أعني شيخ التربية،

لأنـــه لا يسير الإنسان إلى الله إلا على يد شيخ التربية وإلا فلا يدري المسير كيف هـــو، أعني سير الخصوص لا سير العموم، ولا يسير للخصوصية إلا بملاقات أهلها كما تقدم، وإلا يتمسك الإنسان بحبل النية والصدق وحسن الظن لعل مولانا يجمعه به، والسلام.

الرسالة السابعة عشر

وبعد ساداتنا والله لو استنشقنا منكم رائحة المحبة ما تكلمنا معكم في شأن هذا لأن هذا لا ينبغي إفشاؤه إلا للأحباب وأنتم منهم إن شاء الله.....عن القسَم الذي يقسم به الرجال، اعلموا رحمكم الله أن الولي إذا تولاه الله أفناه عنه وأبقاه به وغيبه فيه وحققه بتحقيق الحال والمقال فيجمعه فيحفه الحق تعالى بالهداية ويحمله بالعناية فيتكلم بالله لا بنفسه، فإن العجز والفقد وما أشبه هذا ذهب بذهاب العبد في الله، ألم تسمعوا قول الله سبحانه (فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث، فافهموا رحمكم الله واحملوا على الكمال ما رأيتم أحدا من المنسوبين عليه، فإن المنسوبين على الله سيوفهم في أرضه ويأتون بحلل جلاله لا يفهموه إلا أهله ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: 24] صدق الله العظيم، ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفهم قوله (إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأَبَرَّهُمْ) ولا سيما أن لله رجالا إذا اهتموا بشيء أو خطر ببالهم من غير قصد له كان بحول الله وقوته من غير قسم..... اعلموا رحمكم الله أن سيدي عبد العزيز الدباغ ولي الله حقًا، ومعنى ما قلنا لكم فيه أنه صاحب الفناء في الاسم ومستشرف على الفناء في الذات، لأن صاحب الفناء في الله لا يتكلم في الأرض ولا في السماء ولا في الجن ولا في الإنس ولا في غير ذلك من جميع الفروع، وإن شئتم أن تعرفوا هذا فمن كتابه تفهموا ذلك، لأن الوقت الذي يغرق في بحر الوحدة لا يتكلم في فرق قط، ولكن هذا نادر في كتابه أعني الجمع ولا سيما من خرج من الجمع إلى الفرق كالشاذلي وأبي العباس المرسي وابن عطاء الله والجنيد والجيلاني وغير ذلك من الأقطاب الكبار، فاقربوا منا نعرفكم بالله لتعرفوا الرجال من الرجال معرفة الله، ولا يعرف ذلك إلا لمن عرف الله حق معرفته كما الذي ذكرته لكم، وأما شيخنا رضي الله عنـــه لم نقدروا أن نصفوه بوصف خاص، وأما الذي ذكرناه لكم من التعبير

والأسرار والأنوار والعـــلوم اللدنية والمقامات العلية هي في كثير من تلامذته رضي الله عنه وعنهم..... شأن الفرق والجمع وجمع الجمع.

الفرق مجاهدة وهو مقام الإسلام، فيغيب العبد في الاسم فيفنى فيه فناء سرمدا، وحقيقة الفناء في الاسم أن لا يرى فاعلا إلا الله وهذه حقيقة الإسلام.

الجمع مشاهدة وهو مقام الإيمان، فيغيب العبد في بحر الذات فتستوي فيه الأحوال الخير والشر والحلو والمر والعز والذل والفقر والغنى وهكذا وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ ﴾ [النحل: 30] ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم (وبالقدر خيره وشره حلوه ومره) وهذه علامة صحيحة على رفع الحجاب، وإن شئت قلت دخول الحضرة، وإن شئت قلت مقام الفنا، وإن شئت قلت مقام الإيمان هكذا وإلا فلا فافهموا رحمكم الله. أما جمع الجمع فهو مقام الإحسان، يخرج من الجمع إلى الفرق ولا ينحجب بالفرق عن الجمع ولا بالجمع عن الفرق (أن تعبد الله كأنك تراه) ومعنى هذا تراه ولا تراه، تراه باطنا مشاهدة ولا تراه ظاهرا مجاهدة، وإن شئت قلت تراه حرية ولا تراه عبودية، وإن شئت قلت تراه جمع ولا تراه فرق، وإن شئت تراه قرب ولا تراه بعد وهكذا وهذا هو المعبر عنه بجمع الجمع وهذا هو المقام الأصلي الذي ليس فوقه مقام ولا يبلغ هذا إلا بتربية شيخ عارف موصل، فإذا وصل إلى هذا كان قطبا كبيرا، وما بقي من الكلام علي إلا في مسألة تجدها في كتابنا إن تأملتَ فيه غاية ولهذا قلنا تأمَّله يا سيدي، فإن كلام أهل القلوب الأحياء ليس ككلام أهل القلوب النائمين، فرقٌ كبير بينهما، كلام أهل القلوب الأحياء يستمد صاحبه أي مطالعة من الروحانية والبشرية، وغيره يستمد من الروحانية فقط، والسلام.

الرسالة الثامنة عشر

وبعد، فاخمل ذكرك، واهمل نفسك، وادفن حسك، واجعل بالله أنسك، واحذر أن تنتصر لنفسك، إذ بذلك تنفتح لك حضرة قدسك، فالذي يحب الجاه والصيت والـــشهرة لا يطمـــع في صفاء النظرة ومشاهدة عجائب القدرة. من لم يتأدب مع

الحبيب، لا يطمع بهذا السر العجيب. من لم يكن في سلوكه كالطريق، لا يطمع أن يظفر بالتحقيق. من كان عاشقا في المال والجاه، كيف يطمع أن يعرف الإله. من كان محبًّا في الدنيا، كيف يطمع الوصول للمقامات العليا. من كان في عوائده مثل الناس، كيف يطمع أن تطيب له الأنفاس. كيف تتجلى الحقائق والأسرار، لمن هو قلبه مشحونا بالأغيار والأكدار. ظاهر العبد محل الذل والافتقار، وباطنه محل العلم والأسرار. من كانت عبوديته في ظاهره سلك الطريق، ومن كانت حريته في ظاهره منع التحقيق. الحقائق مطر سماء المعاني تتنزل في أرض القلوب، والشرائع الكريمة ثمرة المعرفة وغاية المطلوب. شرائع الطريق للسائرين، وشرائع التحقيق للواصلين. الشرائع الظاهرة، بقدر وسع الحقائق الباطنة. البواطن محل الجمال، والظواهر محل الكمال. حقائق حضرة القدوس، محجوبة عن أهل حضرة النفوس. أمدك بوصفه لتعرف وصفك وتقف عنده ليقربك بذلك إلى حضرة قدسه، وما مدك به لتعارضه وتنازعه وتشارك في ملكه، فافهم، وبالجملة كن عبدا لربك تكن حراً بربك، كن ذليلا لربك تكن عزيزا بربك، كن فقيرا لربك تكن غنيًّا بربك، كن جاهلا لربك تكن عالما بربك، كن صامتا لربك تكن متكلما بربك، كن ميتا لربك تكن حيًّا بربك، كن عاجزا لربك تكن قادرا بربك، (لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا) الحديث، ونوافل الخيرات هي ما ذكرناه إذ هذه هي النوافل الحقيقية وهي نوافل القلوب، وأما نوافل الجوارح فهي وسيلة إلى نوافل القلوب وقد جُعلت والله لضعفاء المومنين وأنهم لا يطيقون سواها وذلك هو مقامهم في الأزل، إذ الهمم تعلو إليه بحسب السوابق فافهم، **واعمل على ما تقتضيه عبارتنا الأُمية، تعلو بقدرة القادر إلى المقامات العالية**، والله غالب على أمره، والسلام.

الرسالة التاسعة عشر

من عبد ربه وأقل عبيده وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه محمد البوزيدي الحسني إلى الأمراء الذين طغوا وأنكروا على الفقراء المنتسبين إلى الله الذكر جهرا وحرفوا طريق الصوفية التي أمرها ظاهر وحالها شاهر السلام عليكم ورحمة الله تعالى والبركة.

كيف جرى لكم حتى أنكرتم طريق القوم التي كان عليها الأكابر من الصحابة كسيدنا أبي بكر وأضرابه رضي الله عنهم وكذلك الأكابر من الأولياء الذين كانوا عليها ولا يزالون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فباب السنة الزهد في الدنيا وفي النفس وعلى هذا سنة الصوفية، والزهدُ في الدنيا وفي النفس أمر عظيم وفي الوجود غريب، تمسَّكوا بذلك الغرباء وهم الصوفية، ولذلك وقع الإنكار عليهم من حيث الجهل بحقيقة ما هم عليه، فعامة الناس لا يعرفون إلا ما هو ظاهر وما ظنوا أن للخاصة شرائع لا يعرفها أحد سواهم ولا يقدر عليها غيرهم لما فيها من الثقل على النفوس كالزهد والتواضع والصبر والخمول وسلامة الصدر وحسن الظن والتوكل والحلم والسخاء والإيثار والاكتفاء بعلم الله والرضا بالبلايا وغير ذلك، فالصوفية عرفوا الظاهر حقًا من حيث عرفوا الباطن، وتمسَّكوا بالظاهر حقًا من حيث تمسكوا بالباطن، وقاموا بالظاهر حقًا من حيث قاموا بالباطن، فهم مشغولون بالذكر والفكر أين ما كانوا وكيف ما كانوا، قد تولاهم وأخذهم عنهم ولم يترك فيهم بقية لغيره، ولكل وقت أقوام وارثون لأقوام، ولهم أقوام ينكرون عليهم وارثون لهم، وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه، وما أنكرنا عليهم هذا بقلوبنا بل بلساننا فقط لأننا والحمد لله على بصيرة لكن ذكرناكم لكي تفيقوا من نومكم وتتأملوا في كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد وقع الإنكار على الغزالي وغيره وحرقوا كتابه وهو أعلم من أهل هذا الوقت كلهم وكذلك على سيدي علي بن حرزهم رضي الله عنه هذا مع معرفته، فكيف بمن هو مغلوق الباب في وجهه لا يعرف إلا ما عليه عامة الناس، أما سمعتَ قوله سبحانه ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 76]، كيف وقد وقع التكذيب بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام فما بالكم بالأولياء، وقد كذبوا حبيبَنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لولاه لم تخْرج الدنيا من العدم أخبرنا عنه سبحانه بقوله ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ ﴾ [الأنعام: 34] الآية وقال أيضا جل من قائل ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: 43] وقالوا ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ [سبأ: 8] والقرآن كله محشو يا فقهاء بمثل هذا فتأملوه لعل الله يفتح بصيرتكم، وما هذه إلا نصيحة لكم ولغيركم، والسلام.

الرسالة العشرون

مـــن عبد ربه تعالى محمد بن أحمد البوزيدي الحسني لطف الله به إلى من يقف علـــيه من العلماء والفقراء السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.....فثمرة العلم العمـــل، وثمرة العمل الحال، وثمرة الحال الذوق، وثمرة الذوق الوجد، وثمرة الوجد المعـــرفةُ الخاصة الناشئة عن الشهود والعيان، وعلامة المعرفة استواءُ الأحوال عند العارف كالفقر والغنى والمرض والصحة والمدح والذم والعز والذل والقبض والبسط وغـــير ذلـــك من تقلبات الأحوال، فإن لم تستو عنده هذه الأحوال فليس بعارف، وكـــل علم لا يوصل لهذا فهو وسيلة بلا غاية، وكل علم لا يزهد صاحبه في الدنيا ويرغبه في الآخرة فليس بعلم، فالعلم الذي تصحبه الرغبة في الدنيا والانكباب عليها وحـــب الرياسة والجاه فإنما هو فتنة وحجة على صاحبه فهو كالشمعة تضيء على غيرهـــا وتحرق نفسها، فالعلماء جعلهم الله رحمة بالعباد وأئمة يقتدى بفعلهم، فإذا انكبوا على الدنيا تبعهم الناس فضلوا وأضلوا وفي الخبر (العلماء ورثة الأنبياء وأمناء الرســـل ما لم يميلوا إلى الدنيا ويخالطوا الملوك فإذا مالوا إلى الدنيا فاحذروهم على ديـــنكم) وقـــال الفـــضيل رضـــي الله عنه كان العلماء.....الناس إذا نظر إليهم المريض.....وإذا نظر إليهم الفقير لم يود أن يكون غنيًّا وقد صاروا اليوم فتنة على الـــناس، ولا بد من صحبة شيخ عارف يدلكم على سلوك هذه المقامات ويطوي عنكم المسافات وهو موجود لِمَنْ مَنَّ الله عليه بالصدق، والسلام.

الرسالة الواحدة والعشرون

الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده.

الأخويْن الصديقين العارفين المحققين الشريفيْن الأجلين سيدي أحمد بن عجيبة وسيدي الهاشمي، السلام عليكما والرحمة والبركة، وعلى كافة إخواننا أهل الحواضر والبوادي، كثر الله عددكم، وقوى مددكم، ومن كل شهوة وعادة أنقذكم، وبالكتاب والسنة شرفكم، ومن خيالات الوهم خلصكم، وبالعلم به سبحانه أيدكم، والرحمة والبركة والعافية كل ذلك من فضل الله سبحانه يشملنا ويشملكم وكافة

الأمة المحمدية آمين، وبعد فسبب التعب من هو الدنيوي والأخروي الجهلُ بالله، ولو حصل العلم بالله لحضرت الراحة الكبيرة والعافية الكبيرة والهناء والسرور ولأطعتنا سائر الأمور، لكن لما حضر الجهل بالله عصتنا أنفسنا فأطعناها فعصانا الكون بأسره من حيث معصية الله، وأي معصية مثل طاعة النفوس، فكل من عصاها فقد أطاع الله، وكل من غاب عنها فقد عرف الله، ونرى يا إخواني الدنيا كثيرة عند كثير من الناس وهم فقراء منها في حال غنائهم بها، ونرى أيضا الآخرة كثيرة عند البعض وهم فقراء منها في حال عمارتهم بها، والعلة في كل منهما الجهلُ بالله، ولو حضر العلم بالله لحضر الغنى بالله بأقل شيء من الدنيا وبأقل شيء من الآخرة، فانتبهوا بارك الله فيكم لقلوبكم إذ هي محل الخير، ولا تنتبهوا لجوارحكم وتتركوا القلوب التي هي المراد من بني آدم وهو لا يشعر لجهله بالله، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، والقلب القاسي هو الخالي من الفكرة، إذ لا شيء يلين القلب مثل الفكرة، ولا شيء تستريح به النفس من الجولان في الأكوان مثل الفكرة، والمشتغل كثيرا بجوارحه لا تستقيم له فكرة وحتى في الآخرة، لأن قوة الظاهر تفتر[1] قوة الباطن لا محالة، وهذا المعنى لا يذوقها إلا أولو البصائر، وأما عامة الناس فالمدار عندهم على قوة الظاهر. العامة قوتهم في الدنيا، والخاصة قوتهم في الدين، وخاصة الخاصة قوتهم في الله أعني لا يطلبون إلا المعاني وهؤلاء هم الذين عبدوا الله حقا جعلنا الله وإخواننا منهم وكل من علت همته إلى هذا المقام الشريف آمين، واعلموا بارك الله أن النفس ما دامت تجول في الأكوان وصاحبها في هم وغم حتى تجول في عالم المعاني أعني تسرح فيه به وتروح منه إليه عند ذلك يستريح صاحبها ويصدق عليه قولـــه تعالى ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28]، ونرى يا إخواني أنه ما خص لإخواننا التجريد الظاهر وإنما خصهم الاعتناء بقلوبهم، ويكفي قليل التجريد إذا حضر الاعتناء بأمر القلوب، ولا يكفي كثير التجريد إذا لم يحضر الاعتناء، وصاحب

(1) تفتر: أي تُضعِف.

الاعتناء لا تجده إلا كالوحش من الناس إن كان في حال الضعف وأما إن كان في حال القوة لا يعجبه إلا وسط الناس ولكن لا يكثر فيهم المشي ولا المجيء ولا الأقوال ولا الأحوال كل ذلك فسق لدخوله خلوة الخلق وإنما يكون كالصخرة بين الناس وذلك لشهوده حقيقة الأمور وإن قام للسؤال مثلا أو قام لغيره قام ليتأدب مع مولاه وليظهر فيه حقيقة العبودية ظاهرا، لا ليأخذ الدنيا من أيديهم أو ليعرف بنفسه وأنه فقير أو غير ذلك: من هذا حاله هو السلكوط الكبير، فردوا من هذا حاله يا إخواني أين ما رأيتموه، لأن طريقنا هذه وهي الشاذلية لا تقبل من هذا حاله وإنما ترميه كما يرمى خبث الحديد بالنار وهي مثل البحر لا تقبل إلا الحي وتدفع الميت للبر، فافهموا بارك الله فيكم، وتأدبوا واتركوا الخشانة إذ الخشانة ليست للصوفية إذ هم أهل علم، والخشانة صفة أهل الجهل، وكل صوفي رأيتموه خشينا فاعلموا أنه مدعي، إذ الصوفية ورثوا النبي صلى الله عليه وسلم في الأحوال وأحواله كلها خُلق وهي السنة، ومن لا خلق له فلا سنة له وإن كان يدعيها. العجب ممن يدعي السنة وهو يغضب من أجل نفسه على عباد الله، والعجب ممن يدعي السنة وهو يتكبر على أحد من عباد الله من أجل نفسه، والعجب ممن يدعي السنة وهو يبخل على عباد الله بما عنده لأجل نفسه، والعجب ممن يدعي السنة وهو يقول أنا شريف مثلا أو عالم أو عابد أو زاهد أو غير ذلك ويرى نفسه أنه أفضل من الناس هذا واللهِ هو المدعي الكبير. العالم مشتغل بربه عن نفسه، لا يبالي بمن مدحه ولا بمن ذمه ولا بمن أعطاه ولا بمن منعه وهكذا، وإن التفت إلى نفسه ولو قلّ خرج من حضرة العلماء وكذلك سائر أهل المقامات، والسلام.

قال سيدي محمد داود في كتابه "تاريخ تطوان"

المجلد السادس، من صفحة 244 إلى صفحة 250:

عرفنا مما سبق، أن الشيخ ابن عجيبة قد تلمذ لشيخه البوزيدي وألقى إليه قياده وباع جل ما كان يملكه وأنفقه عليه وعلى مصالحه.

ومن المعروف أن إقامة الشيخ البوزيدي كانت في إحدى قبائل غمارة الجبلية، وإقامة ابن عجيبة كانت بمدينة تطوان، وتبادل الرسائل بين الشيوخ والتلاميذ، من الأمور العادية.

وقد وقفت على عدة رسائل كتبها الشيخ البوزيدي إلى تلميذه ابن عجيبة وإلى غيره من الفقراء الدرقاويين بتطوان، وأرى من الفائدة أن أثبتها هنا.

أولا لمعرفة نفس الشيخ البوزيدي واتجاهه الذي أثر في الفقيه ابن عجيبة كل التأثير حتى انقلبت أحواله وانقاد له وصار من أكبر أتباعه وخدامه.

وثانيا لبيان طريقة الشيخ المذكور في التربية الصوفية، وأسلوبه في ميدان النصح والإرشاد، وخصوصا للمنغمسين في الماديات، والمكبين بكليتهم على الدنيا وشهواتها.

[الرسالة الثانية والعشرون]

فهذه رسالة مختصرة من البوزيدي إلى ابن عجيبة خاصة، وقد وصفه فيها بالعالم العلامة، ونصها:

محبنا في الله، العالم العلامة سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني، السلام عليك والرحمة والبركة.وبعد سيدي فلا شيء أحب إلى الله مثل الأسماء التي يذكر بها، ولا شيء أحب إلى الأسماء مثل من يذكرها، فإن الأسماء أذيال المسمى، وإن شئت قلت عين المسمى، فمن اشتغل بتكرير أسماء شيء على الدوام، فني في ذلك الشيء حتى يصير يشاهده في اليقظة والمنام، وفي القرب والبعد، وفي الظلمة والنور، وغير ذلك حتى يغيب عن وجوده في وجوده، لأن العقل الذي يشهد به وجوده، هو مع غيره بسبب تكرير أسماء محبوبه، فهكذا ينبغي للعاشق المحب الصادق، أن يشتغل بذكر الله على الدوام، ليلا ونهارا، حتى يمتزج الذكر مع لحمه ودمه وعروقه وأعظمه وكليته، فلا يرى لنفسه حركة ولا سكونا ولا غير ذلك من كثرة القرب إلى الله عز

وجل، وهنا يشهد الأنوار، التي هي شرة الأفكار، والأفكار شرة الأذكار، والأذكار على قسمين، أذكار بالجوارح الظاهرة، وأذكار بالقلوب، فأذكار الجوارح الظاهرة، هي الفناء في الاسم، وأذكار القلوب، هي لأهل الفناء في الذات، قلَّ من يعرفها، ولها علامات يستدل بها على صاحبها: أولها ترك الدنيا بالكلية، ظاهرا وباطنا، وثانيها السكون في الذل اختيارا، وثالثها احتمال إذاية المخلوقات كلها عن طيب نفس، فإن هذا الحمل ثقيل على من هو بنفسه، ولا يحمله إلا من غاب عنها غيبة أبدية، ولا يغيب عنها غيبة أبدية إلا بصحبة من غاب عنها غيبة أبدية، وإلا فلا سبيل له إلى ذلك.

وكتب محمد بن أحمد كان الله له آمين.

[الرسالة الثالثة والعشرون]

وهذه رسالة متوسطة من البوزيدي إلى ابن عجيبة خاصة، وقد وصفه فيها بالولي الصالح، ونصها:

محبنا في الله، الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة الحسني، السلام عليك والرحمة والبركة. وبعد فتَهَلَّوْا [1] في ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وسرا وجهرا، أفرادا وجماعة، ولا ترضوا دونه بدلا، ولا تلتفتوا إلى سواه بقلوبكم ولا بجوارحكم، ولا تشتهوا غيره، ولا تطلبوا سواه، إذ هو السر والعناية والولاية الكبرى والفتح الأعظم وخير الدارين، ويكفيكم في شرفه قوله سبحانه:" اذكروني أذكركم" وقوله أنا جليس من ذكرني الحديث، **ومن أراد أن لا يقع له الملل من الذكر ولا من الفكر ولا من الحضور، فليذكر الله تعالى بقلبه وجوارحه**، إذ الذكر بالقلب هو المطلوب، والجوارح إليه وسيلة، وذكر الله بالقلب لا يحصل إلا بعد تطهيره من حب الدنيا

(1) تَهَلَّوْا: أي احْرصوا.

والجاه وغير ذلك، فإذا طهر الفقير قلبه من أوصاف النفس، تطهر من رؤية الحس، وإلا فلا، والعلة التي منعت القلب من شروق الأنوار وكشف الأسرار، هي الأوصاف الخبيثة، كالكبر والحسد وحب الجاه والمدحة والثناء والتعظيم والتبجيل وغيره مما يناسب ذلك، سيما إن كانت النفس حية قريبة العهد من الأوكار التي خرجت منها، ومن أراد يا سيدي أحمد أن تطوى عنه الطريق، وينزل مقام أهل التحقيق، فليؤيس نفسه من الرجوع إلى الدنيا، ولا يرجع إلى شهوة ولا إلى عادة تركها قبل، وإن صدر فليتب وليرجع سريعا إلى مولاه، فإن حصل للنفس اليأس مما ذكرنا، ارتحلت إلى عالم الملكوت، ورجعت إليه بما فيه من النعوت، كالعلوم اللدنية، والمعارف الرحمانية، والسلام. وتَهَلاً [1] يا سيدي في الإخوان المتجردين والمتسببين، والمتجردين أكثر، إذ هم نزلوا في أرض غريبة لا يعرفونها، فَحُلْ[2] لهم ذلك البلاد حتى يعرفوا قدرها، ويشهدوا نورها وما فيها من الأسرار، فحينئذ اتركهم، وحضهم على السنة المحمدية، إذ هي الطريق، والرفيق إلى حضرة التحقيق، وهي كمال التحقيق لمن عرف قدرها، وليس هي غير التحقيق، لكن لا يعرفها إلا العارفون بالله، الغائبون في شهود عظمته سبحانه، ثم حضهم بعد ذلك، ولكن على أعمال الطريقة كالصمت والجوع والذل والفقر، والقناعة والصبر، والرضا والتسليم، والتواضع والسخاء والحلم والعزلة، وما أشبه هذا، إذ بالطريقة يظهر سر الشريعة.

وانههم عن فضول الكلام إن أرادوا الربح والنجح، وعن فضول الأكل، وعن فضول التأنس بالمخلوق، فإن المتأنس بالمخلوق، لا يطمع في التأنس بالخالق، سيما شهوده، وإياكم والبسط، فإنه فساد لطريق الفقر، والسلام.

---

(1) تَهَلاً: أي احرصْ.

(2) حُلْ: أي افتحْ.

وطالعْ إخواننا كلهم على بطاقتنا هذه وغيرها إن شاء الله، ولا نحبك أن تجمع عليك كثرة الفقراء في مدينة تطوان، إذ هي ضيقة غاية، فمن بات ليلة فذكره الله، وأمره بالخروج إلى بلاده، ليتذكر به إخوانه.

وأما الخروج، فتأن شيئا إلى خروج الحسوم إن شاء الله.

وأما الآية التي ذكرت، إن قوي عزمك فافعل والسلام.

وكتب عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني كان الله له آمين.

ثم هذه رسالة مطولة من البوزيدي إلى ابن عجيبة وكافة الإخوان الدرقاويين في الحاضرة والبوادي، وقد وصف فيها ابن عجيبة بالولي الصالح، العالم الناصح.

[الرسالة الرابعة والعشرون]

محبنا في الله، الولي الصالح، العالم الناصح، سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني، وكافة إخواننا أهل الحاضرة والبادية، السلام عليكم والرحمة والبركة.

وبعد نحبكم، أحبكم الله وأرشدكم، أن تقصروا على المسكنة وحضوا عليها كل من قرب منكم ولا بد، إذ بها عرفوا أهل الله جملة وكل من كان من أهل الخير، وبضدها عرف أهل الشر جملة إلا من قهرته القدرة رغما على أنفه، فشدوا أيديكم على المسكنة، إذ كل من أطلقها يفتش عليها ولا يجدها، إذ هي من أعظم المراتب، وأشرف المنازل، وقد أجاز عمره المبارك فيها صلى الله عليه وسلم، وكان أعز الناس عنده الفقراء والمساكين، فسيروا على سيره، وتخلقوا بأخلاقه الكريمة، من المسكنة والحلم والتواضع والسخاء، والصدق والمحبة والتعظيم، وغير ذلك مما يناسب حالكم رضي الله عنكم، فاجعلوا علمكم مقرونا بعملكم، ولا تجعلوا العلم في جهة، والعمل في جهة أخرى كالحلوي يغني عليها ولا يأكلها، غنوا عليها وكلوها، ووكلوا لغيركم، فهذا هو الكمال.

وأوصيكم أن تحذروا صحبة أهل الفضول وإن كانوا منتسبين، إذا لم يرجعوا عن فضولهم، فإن رجعوا عن فضولهم واشتغلوا بما يعنيهم فارجعوا إليهم، وإلا فلا، لأن صحبة أهل الفضول، فساد للقلوب والجوارح. ومن أراد أن يكون مسكينا على الدوام، فليترك نفسه عنه تركا كليا، حسا ومعنى، كما تركوها أهل الله جملة رضي الله عنهم. وأما من لم يتركها ويظنها صاحبها أنها تتمسكن، هذا لا يتصور في العقل وجوده، وإن أردتم مسكنتها فاسلخوها من أوصافها الذميمة، وألبسوها الأوصاف الحميدة، سيما عند ظهور وصفها ظاهرا، فذلك الوقت أسرع لقتلها من لمحة البصر، وأسرع لحياتها كذلك، فكونوا على بصيرة في ذلك الوقت لتنالوا من الله القرب التام، الله يتولى أمرنا وأمركم وأمر المسلمين أجمعين عند إرادة توليتها علينا، فانقطعوا إلى الله عند انقطاعها لكم، واشتغلوا بالله عند اشتغالها لكم، واذكروا الله عند ذكرها لكم، لأن ذكر الله في وقت الضيق، ليس كذكر الله في وقت التاسيع، فرق كبير: عند التاسيع يظهر لكثير أنهم ذاكرين، وعند الضيق لا يبقى ذاكر إلا الصديق، فعليكم بالحلم في وقت غضبها، وبالتأني في وقت تقلقها[1]، وبالتواضع في وقت ارتفاعها، وبالكرم في وقت بخلها، وبالذل وقت عزها، وبالفقر وقت غناها، وبالوجد وقت فقدها، وبالصمت وقت كلامها، وبالعزلة وقت تاسيعها، وبالقبض وقت بسطها، وبالمدح وقت ذمها، وبالعطاء وقت منعها، وبالإقرار وقت إنكارها، فمن ملكها هذه الملكية، كان من عباد الله المخلصين.

وأوصيكم أن لا تشتغلوا بمحاربتها، فإن ذلك هو الغفلة الكبيرة، ولكن اشتغلوا بالله يكفيكم شرها ويمنعكم بأسها، فإن ذكرتم الله ونسيتموها ذهبت نفوسكم، وبذهاب نفوسكم يذهب وجودكم، وبذهاب وجودكم تستولي أنوار بصيرتكم على كليتكم حتى لا يبقى إلا البصيرة في العين والأذن واليد والرجل، لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، الحديث.

---

(1) التقلق: أي القلق، وهو الإضطراب والإنزعاج.

وهذه النوافل التي يحصل بها هذا الأمر العظيم، هي خروجكم عن أوصاف بشريتكم وتخلقكم بأوصاف روحانيتكم، وجربوا تروا.

وأوصيكم أيضا أن لا تأخذوا أيضا من حوائجكم إلا ما سهل، وما صعب دعوه عنكم فإنه لا خير لكم فيه، إذ كل من رأيتموه يريد قضاء حوائجه كلها فاعلموا أنه غافل عن ربه ذاكر لنفسه، ولو كان ذاكرا لربه لكان ناسيا لنفسه، ولو كان ناسيا لنفسه لكان ناسيا لحوائجها، لكن كل حاجة غير الأهم فهي من حوائج النفس، فخذوا الأهم واتركوا ما زاد، فإنه من فضول النفس، وقد قال لي بعض الإخوان في هذه الساعة: أين ما خصتني حاجة من حوائجي نمشي إليها أم لا ؟ فقلت له: اسمع نفيدك، لا تأخذ من حوائـــجك إلا ما هو أهـــم، ولا تمش لذلك الأهـــم إلا عند الاضطرار، وإن صعب قليلا دعه، وسرْ هكذا مع حوائجك، تقضى لك الحوائج، ولا تفقد قلبك أبدا، لأن سبب فقدان القلوب، اتباع الحوائج بالظواهر والبواطن، ولو نسيناها لما شغلنا عن الله شاغل.

فاشتغلوا بربكم، تشتغل بكم جميع الحوائج، ولا بعدهم عنا إلا بعدنا عن ربنا.

واعلموا رحمكم الله، أن النفس إذا كانت أرضية سفلية ظلمانية بشرية، تنزل على حوائجها غايتها ولا تنتقل عنها، سواء قضيت أم لا، وإذا رجعت سماوية علوية نورانية روحانية، تنزل على حوائجها عبودية لربها، لا لشهواتها ولا لحظ من حظوظها، سواء قضيت أم لا، كلاهما عندها سواء، لغناها بالله، عن كل ما سواه، فهذه علامة صحيحة على موت النفس.

وأوصيكم أيضا أن لا تتكلفوا لبعضكم بعضا، سيما لنفوسكم أحرى وأحرى، فالكلفة غفلة، ومراد الله منا اليقظة لا الغفلة، والكلفة التي أشرنا لكم إليها، هي أن يتكلف الفقير بما ليس عنده، وهذا لا نحبه ولا يحبه الله ورسوله، قال صلى الله عليه وسلم: أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف، الحديث.

فالصوفي الحقيقي، إذا وجد أنفق، وإذا فقد اتقى، أعني الكلفة، فلا تتكلفوا لنفوسكم ولا لغيركم، لتكونوا من الأتقياء، والسلام. انتهت.

ولتمام الفائدة، نثبت هنا أيضا **رسالة كتبها الشيخ البوزيدي إلى بعض فقراء تطوان، ومن جملة ما فيها، حضهم على البرور والاعتناء بسيدي أحمد بن عجيبة**، وربما كانت كتابة هذه الرسالة عقب زهد الفقيه ابن عجيبة في الدنيا وانضمامه إلى طريق القوم.

ونفهم من هذه الرسالة، أن أهل تطوان في ذلك العهد، كانت من بينهم جماعة من الفقراء الدرقاويين المتصلين بالشيخ البوزيدي، والرسالة المذكورة هذا نصها:

[الرسالة الخامسة والعشرون]

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

أخونا في الله ومحبنا من أجله، الولي الصالح، الخير الدين، المبارك الطيب، سيدي الحاج أحمد البشري، السلام عليكم والرحمة والبركة.

وبعد نحبكم بارك الله فيكم، أن لا تلتفتوا إلى شيء دون الله، ولا تعمروا قلوبكم إلا به، ولا تسكنوا إلا إليه، ولا تذكروا إلا إياه، ولا تحبوا سواه، وإنه سبحانه أجل ما يذكر ويعظم، وأجل ما يفني العبد فيه عمره، إذ لذلك خلقنا، وبه أمرنا، والذي يضيع عمره في الاشتغال بسواه، يندم ولا تنفعه الندامة، ونحب أخانا وحبيبنا أن لا يفك قدمه عن الزاوية كما هو شأنه، وأن تواصل إخواننا الذين لا يصلون إليها كسيدي الطاهر شعبان، والسيد أحمد المصمودي، وسيدي عبد القادر أحديد تهلا فيه، إذ هو والأحباب وسيدي عبد الرحمن.....وجملة من كان ينسب علينا، وقل لهم قال عبد ربه محمد، نحبكم أن لا تفارقوا سيدي أحمد بن عجيبة، إذ هو والله من يقرب منه العباد، وقل لهم يتهلون في القناعة من الدنيا غاية، ليستقيم حالهم مع ربهم، إذ لا يستقيم للراغب فيها حال من الأحوال، ولا يتلذذ بصلاة ولا

صوم ولا بغير ذلك من عمال أعمال البر كله، وإن حصلت القناعة منها يقع الالتذاذ بأقل عمل، ويرى السر لأقل عمل، والبركة والخير، والله لولا الرغبة في الدنيا وأهلها قطع كبد أهل الأعمال، تروا من السر ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، في قليل الأعمال، قلْ لإخواننا يا سيدي الحاج أحمد، اقنعوا من الدنيا، وازهدوا فيها وأعرضوا عنها بالكلية إن أردتموها ولا بد ولا بد والسلام.

ونحبك بارك الله فيك وفي أهلك وإخوانك، أن تترك الدراز المذكور، وأن تنظر سببا يليق بك في القيسارية أو في العَطَّارِين أو غيرها، الله يبارك لك في كل ما تصنع من أمور الدنيا والأخرى، ونسأله بمنه أن تكون دنياك أخرى بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والسلام.

عبد ربه محمد البوزيدي الحسني كان الله له آمين.

استدراك: اللهم ولا أحسن، المؤمن يعيش فقيرا من الدنيا ويموت فقيرا، وما أقبح العكس. انتهت.

وأخيرا، هذه رسالة **أخرى كتبها الشيخ البوزيدي إلى البشري المذكور وإلى كافة الإخوان بمدينة تطوان**، ونصها:

[الرسالة السادسة والعشرون]

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

محبنا في الله الولي الصالح سيدي الحاج أحمد البشري وكافة إخواننا أهل المدينة التطوانية، السلام عليكم والرحمة والبركة.

وبعد، فطريق الصوفية مبنية على ثلاثة أصول لا غير:

فالأول الصدق، والثاني الخروج عن النفس، والثالث الخروج عن المال.

فالصدق أساس، والخروج عن النفس سور، والخروج عن المال سقف، فالصدق هو امتثال كل ما يشير به عليه، والخروج عن النفس هو خروجها عن جميع العوائد،

ومنها من جميع اللذائذ لشهوتها الفانية، ومن العوائد المبالاة بالمخلوقات، ومن العوائد حب الجاه وحب الرفعة وحب العز وحب الغنى وحب المدح.

وسبب العوائد كلها، حب الدنيا الساكن في القلب لا غيره، ولو خرج حبها لامتلأ القلب بنور الله، ولكان العبد عبدا لله، ولشهد سر الله، ولا حجبنا عن الحق سبحانه إلا عدم عبوديتنا له لا غير، ومن لم يتعبد لله تعبد لنفسه، ومن تعبد لنفسه تعبد لجميع الأشياء، فكان أقل شيء في هذا العالم يتصرف فيه لبعده عن ربه وقربه من نفسه، فغيبوا عن مراقبة نفوسكم، لتغيبوا عن مراقبة الأشياء، وراقبوا فيها مولانا أو شاهدوه لتكون مراقبتكم لله لا للأشياء، فحينئذ إن تواضعتم معها تواضعتم مع الله، بخلاف التواضع من الأشياء عن جهل، فإنه لها لا لله، فافهموا وتواضعوا مع الأشياء كلها بعد أن تراقبوه كما قلنا أو تشاهدوه، وتواضع العبد على قدر معرفة ربه، فمنهم من انتهى به التواضع إلى أن حمله على التواضع مع الحجر والمدر، والأخيار والأشرار، لشهوده صنعة الجبار، ولا يزال التواضع بأهل العرفان، حتى ينزلون أنفسهم منازل الكلاب ولا يبالون، وأما من رفع نفسه عن الكلب في المنزلة الحسية، فهو متكبر حقا، وهل الكلب فيه تصير صنعة الله وحكمته وقدرته وإرادته وعلمه، واعجبا لمن لم يفهم حقيقة الأشياء، فحققوا أنفسكم بوصفها ليذهب عنكم ظلمة جهلها، ويتجلى لها بنور العلم فتستريحوا من همومها وجميع كدراتها. واعلموا رحمكم الله، أنه ليس للعبد إلا منزل واحد إن نزل فيه نجا، وإن خرج منه هلك، وهو منزل العبودية، والسلام.

وكتبه عبد ربه وأحوج الورى إلى عفوه وغفرانه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني كان الله له ولسائر المسلمين آمين.

وأما الزاوية فهي اللائقة بكم، فجزاكم الله عنا خيرا، وعن كافة إخواننا يا سيدي الحاج أحمد، لكن نحبكم أن تعمروها بالذكر والمذاكرة وبكل ما يناسب، والسلام.

[انتهت هذه الرسائل من كتاب "تاريخ تطوان"]